الخدمة الإجتماعية الناهضة

من الإرادة إلى المشاركة الفعالة

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2023

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة

(من الإرادة إلى المشاركة الفعَّالة)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

المحتويات

المقدِّمةُ 5

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة..... 7

النَّهضة المهنيَّة..... 9

النَّهضة المهاراتيَّة للخدمة الاجتماعيَّة 10

النّهوض طريقة مهنيَّة.....12

النَّهضة المهنيَّة منهجًا 13

النَّهضة المهنيَّة أسلوبًا 17

النَّهضة المهنيَّة تهيؤًا ويقظة 18

النَّهضة المهنيَّة تأهُّبًا.....19

النَّهضة المهنيَّة تَطلُّعًا 19

النَّهضة المهنيَّة تطوّرًا 21

النَّهضة المهنيَّة ارتقاءً 23

النَّهضة المهنيَّة نُقلةً.....26

الإرادة.....29

تقويض الإرادة 36

الإرادة تحدّي الصّعب.....49

الإرادة قوّة 63
الإرادة قوّة مناعة 65
القرار قوّة إرادة 66
امتلاك الإرادة ارتقاءً 69
امتلاك الإرادة وعيًا 73
امتلاك الإرادة يُمكِّن من الإدراك 73
امتلاك الإرادة تهيّؤ فعَّال 77
حقّ المشاركة 83
المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم 84
المشاركة تهيأً 111
التهيّؤ للفعل 117
المشاركة تمكن من التأهُّب استبصارًا 119
المشاركة في الفعل إرادة 125
الإقدام على الفعل إرادة 132
الفعل تتويجًا 134
المشاركة الفعَّالة 134
المشاركة عن حُسن تدبُّر 146

المشاركة عن تدبُّر حُسن دراية..... 167
صدر للمؤلّف..... 192
المؤلّفات..... 194
المؤلّف في سطور 216

المقدِّمةُ

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى المشاركة الفعَّالة) مجهود بُذل بغاية النُّهوض بمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، التي ركنت إلى الرُّوتين وبقيت عليه سُكونًا وكأنَّ العلوم لا تتقدّم ولا تتطوَّر.

ولهذا فنحن بهذا المجهود العلمي نريد أن نستفزَّ عقول البحَّاث والمتخصصين والأخصائيين الاجتماعيين علميًّا، لعلَّهم ينهضون تفكّرًا وتدبُّرًا وتفكيرًا.

ولأنَّه لا نهوض علمي بدون بحوث علميَّة (فكريَّة وتجريبيَّة وميدانيَّة)؛ فعليهم بالبحث العلمي نهوضًا، وعليهم أن يُدِرُوا عقولهم مع دوران الأرض حول نفسها والشّمس، وهم يتذكَّرون ويتدبَّرون ويفكّرون، وإلَّا سيجدوان رؤوسهم وقد دارت؛ ومن ثمَّ فلا يستطيعون التمييز بين الرُّؤوس والأقدام.

ولأنَّه لا عمل فعَّال إلَّا ومن وراءه فاعل له، إذن:

أوَّلًا: علينا بإعداد الفاعلين.

ثانيًا: تعليم وتدريب القدرات على أيديهم، حتى يصبحوا فعَّالين بلا تردّد.

ثالثًا: تمكينهم من العمل الفعَّال.

ومع ذلك لا قيمة لهذه الجهود ما لم تكن مؤسّسة على الإرادة الحرّة؛ حيث الرّغبة أساس النَّجاح.

ولذا فالعلاقة قويَّة بين امتلاك الإرادة والمشاركة الفعَّالة؛ ذلك لأنَّ الإجبار والاكراه والارغام لا يمكن أن تعد أو تُؤهِّل الفعَّالين الذين يتركون الأثر الفعَّال.

ومع أنَّ لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة قيمٌ وقواعدٌ ومبادئٌ وأهدافٌ، جعلت للأخصائيين الاجتماعيين أدوارًا فعَّالة؛ فإنَّ إعدادهم المهني ليس على فاعليَّة المهنة، وهنا تكمن العلّة التي تستوجب النّهوض بهم وبالمهنة الفعالة.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنةٌ متفحِّصة متبيِّنة فلا تَقدم على فعلٍ إلَّا عن دراية تُمكِّن من التمييز بين ما يجب القيام به أو الاقدام عليه، وما يجب التخلِّي عنه والاحجام.

ولذا فإنَّها مهنة ناهضة من القعود والجمود والرّكون إلى ذلك المألوف السَّاكن؛ كونها لا تولي اهتمامًا بالفرد إلَّا والنّهوض به غاية، ولا تولي اهتمامًا بالجماعة إلَّا والنّهوض بها غاية، ولا تولي اهتمامًا بالمجتمع إلَّا والنّهوض به غاية.

ومن هنا فإنَّ نهوض المهنة لا يكون إلَّا عن درايةٍ، وحيويَّة النَّاهضين بها تتدافع؛ من أجل مستقبل أفضل وأجود؛ فنهضة المهنة هي نهضة علميَّة ومهنيَّة وأخلاقيَّة وإنسانيَّة، وهكذا كلّ شيء على أيدي الناهضين بها يتجدّد، ومن هنا فإنَّ المهنة النَّاهضة هي المهنة الماضية في عملها تطوّرًا بعزيمةٍ واستقامةٍ، وإنَّ ممارسيها ناهضون بها وعيًا ودرايةً واستنارةً.

ومع أنَّ للخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة منهجٌ، وفقًا لقواعدها ومبادئها؛ فإنَّ دراستها الموضوعيَّة والمنهجيَّة لا تخرج عن خطوات خمس: معلومات تُجمع من مصادرها، ثمَّ تحلل متغيراتها سواء أكانت متغيرات تابعة أم مستقلة أم كانت متغيرات متداخلة، ثمَّ تشخصّ الحالة وفقًا لعناصرها البشريَّة (فرديَّة، أم جماعيَّة، أم مجتمعيَّة)، ثمَّ تأتي مرحلة العلاج، ومن بعدها تأتي مرحلة التقييم والتقويم؛ ولذا فقد ورد في معايير الخدمة

الاجتماعيَّة للقوى العاملة في أمريكا تعريف الاتحاد القومي للأخصائيين الاجتماعيين الأمريكي (NASW) بأنَّ الخدمة الاجتماعيَّة هي: النشاط المهني لمساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات لتعزيز وتدعيم قدراتهم على أداء وظيفتهم الاجتماعيَّة، وإيجاد ظروف اجتماعيَّة مواتية ومؤيدة لهذا الهدف، وتتألف ممارسة الخدمة الاجتماعيَّة من التطبيق المهني لقيم الخدمة الاجتماعيَّة ومبادئها ووسائلها الفنية لواحد أو أكثر من الغايات التالية:

1 ـ مساعدة الأفراد في الحصول على خدمات ملموسة وفعَّالة.

2 ـ تقديم المشورة والعلاج النَّفسي للأفراد والأسر والجماعات.

3 ـ مساعدة المجتمعات والجماعات على تقديم أو تحسين الخدمات الاجتماعيَّة والصّحيَّة.

4 ـ المشاركة في عمليَّات وضع التشريعات المتعلّقة بالنواحي الاجتماعيَّة.

وعليه: فإنَّ الخدمة الاجتماعيَّة مهنة تأسّست على قيم ومبادئ مستمدَّة من نظريَّات اجتماعيَّة ونفسيَّة يمارسها أخصائيُّون اجتماعيُّون معدّون إعدادًا علميًّا وفنيًّا ومهارتيًّا على كيفيَّة التعامل موضوعيًّا وسُلوكيًّا مع الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة بعد دراستها دراسة موضوعيَّة وافية.

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنة إنسانيَّة لا تقرّ بقاء المهنة ساكنة وكأنَّ العلوم والمعارف من حولنا لا تتطوّر ولا تغيَّر، وكأنَّ حاجات الإنسان هي الأخرى لا تتطوُّر ولا تتغيّر؛ ولذا فهي المهنة التي لا يُمكن أن تنفصل عن حركة التغيُّر الاجتماعي وتطوّر الحاجات التي تتطلّب مشبعات مواكبة لها.

النَّهضة المهنيَّة:

النَّهضة صحوة بعد غفلة، وحركة بعد سُكون، وتقدّم بعد تأخر وتخلّف، وانطلاقة بعد توقّف، أمَّا المهنة فهي صفة لِمن يُعد ويؤهل نظريًّا ويُدرَّب عمليًّا على مزاولة ما تمَّ أن تعلَّمه وألمَّ به، مثلما هو حال المحامين والأطباء والأخصائيين الاجتماعيين، وعلى ضوء فلسفتها ومبادئها وأهدافها يُصقل سلوك الأفراد والجماعات، وهي تتعدد وفقًا لكلِّ تخصص، وعندما يتم التقيد بمبادئها والأهداف التي من ورائها تصبح التزامًا أخلاقيًّا يُعاقب من لا يحترمه أو يقدّره من الممتهنين؛ ولذا دائمًا المهنة تُعزّز بجدارة المؤدِّين أو الممارسين لها وتتطوّر عبر الزَّمن حتى يتم تقديم خدمات تنافسيَّة ناجحة ومتميِّزة من قبل الذين يمتهنونها بكفاءة، وتقام المؤسّسات المتبنّية للمهن وينتمي المتخصصون إليها وفقًا للتشريعات القانونيَّة التي تمدهم بالاعتراف وتُجيز لهم العمل في الميادين الخدميَّة والإنتاجيَّة؛ ومن هنا جاءت نهضة مهنة الخدمة الاجتماعيَّة ثورة على تلك الأساليب والمناهج التي لا تخرّج إلَّا التُّبع الفاقدين للدِّراية والاستنارة.

النَّهضة المهاراتيَّة للخدمة الاجتماعيَّة:

المهارة حيويَّة فنيَّة تُيسّر القول والفعل والعمل والسُّلوك للتفاعل والتوافق والانسجام، وبها تذلل الصِّعاب وتُقهر، مع مقدرة تُمكّن من اختصار الوقت بأفضل الجهود وأحسنها.

ولذا فمهارة مهنة الخدمة الاجتماعيَّة تكمن في أخذها بالقيم الإنسانيَّة وتوظيفها مهنيًّا بما يُمكِّن من تقديم المساعدة إعدادًا وتأهيلًا وتعليمًا ورعايةً وعنايةً.

وقد ورد في بيان الجمعيَّة الأمريكيَّة للأخصائيين الاجتماعيين التصنيف المعياري لممارسة الخدمة الاجتماعيَّة المحتوي لاثنتي عشر مهارة وهي القدرة على:

1 ـ الاستماع للآخرين بفهم وعن قصد.

2 ـ استخراج المعلومات وتجميع الحقائق المتصلة ببعضها لإعداد التَّاريخ الاجتماعي، والتقدير واثبات كل ذلك في تقرير.

3 ـ إيجاد وتعزيز علاقة مهنيَّة مساعدة.

4 ـ ملاحظة وتفسير السُّلوك اللفظي، وغير اللفظي واستخدام معلومات نظريَّة الشّخصيَّة وطرق التشخيص.

5 ـ إشراك العملاء (أفراد وجماعات ومجتمعات) وانخراطهم في جهود حل مشاكلهم لاكتساب الثِّقة بأنفسهم.

6 . مناقشة الموضوعات العاطفيَّة الحساسة، بطريقة مؤيدة وبعيدة عن التهديد.

7 . إيجاد حلول جديدة لاحتياجات العميل.

8 . تحديد الوقت الملائم لإنهاء العلاقة العلاجيَّة.

9 . القيام بإجراء بحوث أو تفسير نتائج البحوث والمؤلفات المهنيَّة.

10 . التوسط والتباحث بين الأطراف المتصارعة.

11 . تقديم خدمات الاتصال بين التنظيمات.

12 . تفسير الاحتياجات الاجتماعيَّة وإيصالها بالموارد الحكوميَّة والتشريعيَّة.

هذه المهارات هي التي يلم بها الأخصائي الاجتماعي ويُعد على أساسها ويعمل على إتقان سلوكها وأفعالها المناسبة مع العملاء، بعد اجتياز فترات التدريب الميداني تحت إشراف الممارسين المهنيين للخدمة الاجتماعيَّة.

هذه المهارات تستوجب تهيئة الاستعدادات وتنمية القدرات لمن يود له أن يكون أخصائيًّا اجتماعيًّا ماهرًا، وتستوجب رغبة وافرة لأداء هذه المهنة الإنسانيَّة وممارستها في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

ولأنَّها النهضة المهاراتيَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، فإنَّها لا تكون على المهارة إلَّا بجودة الإتقان التي يقوم بها الأخصائيُّون الاجتماعيُّون وعيًا واستنارةً ودرايةً.

النّهوض طريقة مهنيَّة:

مع أنَّ مفهوم النَّهوض يحتوي في مفهومه ما يدلُّ على الحركة في مواجهة السُّكون، فإنَّ النُّهوض المهني نهوض قيمي يرشد إلى التحسُّن والارتفاع والارتقاء علمًا ومعرفةً وممارسةً ومنهجًا.

ومن هنا فالطَّريقة هي مولود المنهج المتكونة من مجموع الخُطوات المنتظمة المتناسقة في ممارسة الفعل، وهي التي تمارس وتُتبع من قبل الذين يلمّون بها ويجيدون تكرارها وضبط عناصرها وتتبع خطواتها، وهي التي تُرتَّب وفقًا للأولويَّات في خطة منهجيَّة في ضوء القدرات والاستعدادات والإمكانات المتاحة من أجل إنجاز أهداف واضحة ومحدَّدة.

إنَّ اتباع الطَّريقة يُمكِّن البحَّاث والأخصائيين من تقصي الأثر الذي تتركه الكلمة، أو المرض والأثر الذي يتركه الفعل والسُّلوك.

وتوصف كل طريقة علميَّة بالخطوات التي تحتويها؛ فخطوات التجربة هي التي تجعل منها طريقة تجريبيَّة، وخطوات التقصي التَّاريخي هي التي تجعل للتَّاريخ طريقة، وكذلك خطوات المسح الاجتماعي هي الأخرى جعلت منه طريقة. وأيضًا طريقة دراسة الحالة في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة،

التي تأسست لها خمس خطوات منتظمة في عمليَّات مهنيَّة متناسقة موضوعيًّا جعلت دراسة الحالة طريقة يمارسها أخصائيُّون مهره، وخطواتها هي:

- جمع المعلومات.
- تحليل المعلومات.
- تشخيص الحالة.
- علاج الحالة.
- عملية التقويم.

وعليه: فالطَّريقة هي التي بها يتم سبر أغوار المعلومة وتتبُّع مكامنها، وأثارها التي تتركها على الكلمة أو الفعل أو السُّلوك، وهي التي بها يتم التعرُّف على ما هو كائن وبها يتم التطلُّع لِما ينبغي أن يكون؛ ولهذا فالمنهج يُحلل المعلومة ويُفككها ويُركبها، ويؤسس قواعد، أمَّا الطَّريقة فلها خطوات تُتبع وفقًا لتوجهات المنهج الذي يُستمد من الموضوع.

النَّهضة المهنيَّة منهجًا:

المنهج مجموعة من القواعد العلميَّة والمنطقيَّة بها يتمكّن الباحث من تفكيك وتركيب وربط المعلومات بموضوعيَّة، وبه تُنسجّ الأفكار وتُعرض التصورات المجسدة لها في السُّلوك والفعل، ويتم استنباط المنهج من المقروء

والمسموع دون أن ينفصل عنه. إنَّه الأفكار التي بها يتم تعلم الكيفيَّة، كيف نتعلم؟ وكيف نفكر؟، وكيف نعمل؟ وكيف نتطوَّر ونُطوِّر.

والمنهج بناء فكري بقواعده تبنى النَّظريَّات وترتابط وتصاغ، وبه يتم إظهار المتغيِّرات الصريحة والضمنيّة وتُستكشف العلاقات بين المستقل منها والتابع والمتداخل، ومنه تُستمد الطُّرق التي تُنتهج من أجل تحقيق الأهداف العلميَّة.

المنهج تتبُّع فكري واعي به تتّزن المعلومة، حتى تأخذ مكانها الذي يليق بها بين المعلومات السَّابقة والمعلومات اللاحقة عليها، وبه يتم استكشاف الاتجاه السَّالب والاتجاه الموجب، وإظهار الكيفيَّة التي يتم بها الإصلاح بفعاليَّة.

بالمنهج تتضح الرؤية، عمّا هو كائن وعمّا يجب أن يكون، مع تقديم بدائل وفقًا لكل أولويَّة ولكل تداخل وتتابع في الفكرة والكلمة والجملة والنص أو الخطاب.

المنهج لا يستقل عن النَّص بأيِّ حالة من الأحوال، ولهذا لا يمكن كتابة المنهج فالمنهج لا يُكتب ولكن يكتب عنه، مثلما نفعل الآن نكتب عن المنهج لنُعرِّفَ به الآخرين مثلما عرفنا نحن مما قرأنا من غيرنا؛ فالمنهج لا يمكن أن يستقل بذاته عن غيره نظرية أو نصٍ أو خطاب، ولذا مع أنّ المنهج لا يُكتب، إلا أنَّه يُعرَّف ويُكتب عنه.

به تُستبين المسارات الفكريَّة والاتجاهات المحمولة فيها، فهو الكيفيَّة التي بها تتم صياغة الموضوع وكيفيَّة تقديمه للقراء والمستمعين أو المتعلمين حتى يتمكنوا من استنباطه ومعرفته عن كتب، وهكذا يتم إدراك المنهج استقراء واستنباطا بما يُكتب به وبما يُكتب عنه.

ويكون المنهج متينًا بقوَّة ترابط أفكاره وبناء قواعده، ويكون ضعيفًا بتفكك أفكاره وبنيان قواعده، فالمنهج هو الذي يمد المفكرين والبحَّاث بما يُمكِّنهم من استقراء الفكرة وما تدل عليه، وما تحمله من متوقَّع وغير متوقَّع سواء كان سالبًا أم موجبًا، ويمدهم بكيفيَّة التمسك بما هو موجب والحياد عما هو سالب.

إنَّه ناظم المعلومة في الفكرة وناظم الفكرة بالمعلومة، وناقلها بها إلى الطَّريقة المترجمة له في كل خطوة من خطواتها في الفعل والسُّلوك.

المنهج هو الكيفيَّة التي يتم بها توليد الفكرة من الفكرة، وتوليد الحُجَّة من الحُجة، من أجل رؤية المستقبل والتطلّع له قبل وصوله، وهكذا يكون المنهج من أجل التطوُّر والتقدّم إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع.

وبما أنَّ المنهج هو الذي به تُفكك المعلومة وتُركَّب. إذن: هو الذي به يتم الانتقال من الكل إلى الجزء، ومن بعده يتم الانتقال إلى المتجزئ. وبناء على هذه القاعدة كان جدل هيجل، وشك ديكارت من أجل معرفة الحقيقة الكامنة في الكل، والحقيقة الكامنة في الجزء، والحقيقة الكامنة في المتجزئ. وعليه: أصبح البحَّاث يمتدون في تقصيهم المعرفي من كلٍّ إلى جزءٍ

إلى متجزئ منه، وحسب خصوصية كل موضوع، فنمهم من يمتد في بحثه بداية من المتجزئ إلى الجزءِ ومن ثم إلى الكل.

المناهج هي التي تُعلمنا كيف نفكّر وكيف نتعلم، وكيف نشاهد ونتابع عن وع، وكيف نُلاحِظ ونستقراء الفعل وردود الفعل، وكيف نربط علاقة بين متغيرين أو أكثر، أو كيف نكشفها للآخرين.

المنهج لم يعد كما يظن البعض قالبًا ثابتا لصهر الأفكار مثل القوالب التي تُصهر فيها المعادن تحت درجات حرارة عالية، بل أصبح المنهج اليوم قواعد معيارية يُمكن أن تقاس به الأقوال والأفعال والسُّلوكيات، وتحدد على ضوئه الاتجاهات وتستقرا نتائجها المستقبلية مما يجعل البحَّاث يرسمون لها الخطط في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع)؛ ولهذا فالمناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع لتبحث فيها، هذه المناهج اجترارية، تَلُكَّ العِلكة أكثر من مرة، فلن تتمكن من توليد الفكرة من الفكرة، والمعلومة من المعلومة، والأحدث من الحديث، والأجد من الجديد؛ فالمناهج التي تُمكن من كل هذا هي التي تجعل المجتمع بأسره في حالة حركة متجددة، وفي حالة تسابق ومنافسة وتطلّع من أجل بلوغ أمانيه وغاياته بكل شفافية مع أخذ الحيطة والحذر من كل انتكاسة.

وعليه: فإن المنهج هو العمليَّة الشَّاملة التي بها تحلل المعلومات والمعارف والقضايا والعلوم والأفكار، وهذه العمليَّة هي التي تُمكِّن طرق البحث من بلوغ النتائج، فالطَّريقة التجريبيَّة لن تنجز أهدافها إلَّا بكشف

العلائق الدالة على حلقات الترابط بتحليل الظاهر والكامن أو الصريح والضمني، وهكذا الطَّريقة التَّاريخية وطريقة المسح الاجتماعي لن تتمّا كطريقتين بحثيتين إلَّا بالمنهج التحليلي.

النَّهضة المهنيَّة أسلوبًا:

الأسلوب هو الكيفيَّة التي بها تُعرض الأفكار وتراجع المعلومات وتصاغ المواضيع وتقدَّم النَّظريَّات للآخرين، وهو الذي به يتعامل الأفراد بما يُمكِّنهم من التكيُّف والتفاعل والتوافق أو يجعلهم في حالة فرقة وصدام.

إنَّه يختلف من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، ومن موضوع إلى موضوع، ومن زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان؛ ولهذا لكلّ مقام مقال.

والأسلوب عندما يحتوي عناصر التشويق فيه يشدُّ المستمعين إلى متابعة النصّ أو الخطاب أو المشهد، وعندما يفتقد ذلك يجعلهم في حالة استرخاء ويشعرهم بالملل حتى يفقدهم رغبة المتابعة.

والأسلوب في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة تفنّن ومهارة في الإنصات والقول والعرض بما لا يُقلق الآخرين، أو يَمسَّ مشاعرهم وأحاسيسهم بأمرٍ سالبٍ، ما يجعل الاحترام والتقدير وتفهّم الظروف من مدعمات الأسلوب اللائق ذوقًا.

ولذلك لا يُعد الأسلوب هو المنهج أو الطَّريقة كما يعتقد البعض، فالمنهج قواعد فكرية بها يتم تفكيك المعلومة وتركيبها، والطَّريقة لها خطوات علميَّة تُتَّبع من جميع البحَّاث عندما تستند على قواعد المنهج، ولكن الأسلوب يرتبط بالباحث والأخصائي الاجتماعي وخصوصيَّته اللغويَّة والأدبيَّة والفكريَّة والثَّقافيَّة.

النَّهضة المهنيَّة تهيؤًا ويقظة:

التهيّؤ يقظة؛ هو صحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غايةً أو أملًا، واليقظة: هي انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل.

ولأنَّ التهيّؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النَّفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفًا، وتحقيق ما كان غرضًا، وبلوغ ما كان غايةً، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلَّا بعد عُدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهّب يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلَّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب، وهو صحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتمامَا، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنَّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

النَّهضة المهنيَّة تأهُّبًا:

مهنيَّة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة تؤهِّب الأخصائيين الاجتماعيين لممارستها نهضة وعن وعيٍ ورغبة، وتؤهِّب العملاء للنُّهوض بعد ركونهم سلبيَّة واتكاليَّة بهدف أخذ المساعدة التي تمكِّنهم من النهوض وإحداث التغيير الذي به ينتقلون من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين الكرام.

والتأهّب لا يكون إلَّا بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد، وهو مرحلة متقدّمة من أجل تنفيذ الفعل والإقدام عليه في الوقت المناسب، وهو السّاكن في كمون الحركة الظّاهرة للامتداد.

والتأهّب فطنة، وعن حسابات عقليَّة وبصريّة مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيِّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فالتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرًا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

النَّهضة المهنيَّة تَطلُّعًا:

ولأنَّ النَّهضة المهنيَّة قيمة امتداديَّة، فهي كما تصل الأخصائي الاجتماعي بكل ما هو نافع ومفيد نهضة مهنيَّة، تتطلَّع بالفرد والجماعة والمجتمع إلى تجارب الآخرين للتعرُّف عليها وعليهم، وذلك بغاية استيعاب ما ينفع ويفيد، مع الاستثناء بالتخلي عمَّا هو ضار وغير نافع.

ولذا تُعد قراءة التَّاريخ والتعرُّف على ثقافات وحضارات الشّعوب ذات فائدة للمزيد المعرفي؛ ولهذا لا تكابر الشُّعوب في أن تتَّصل مع الآخر من أجل أن تستفيد بكل ما يُسهم في تطوّر حياة أبنائها؛ فلا داعي للمكابرة، ولا داعي للتردُّد الذي يجعل البعض على حالة من السُّكون؛ ولذا فمن يقرأ التَّاريخ يعرف أنَّ الشُّعوب والحضارات دائمًا في حالة اتصال وتواصل من أجل إحداث النُّقلة للمستقبل الأفضل.

إنَّ الذي يُعطي للتطلُّع قيمة، هو المعرفة الواسعة التي تقدّر الظروف والمواقف هي كما هي، حتى تستطيع تغييرها إلى الأفضل والأجود والأنفع ومن ثمَّ تؤهِّب أصحابها إلى إحداث النُّقلة المتطلَّع إليها.

وعليه فالإنسان المتطلّع تأهّبًا للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي إنَّه في حالة النُّقلة من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النَّفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على تراثه وثقافته وعلمه، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والعلوم والأفكار الإنسانيَّة الأخرى، وفي الوقت ذاته لا يُفرِّط في خصوصيّته الذاتية التي جعلت له تاريخًا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيمية.

إذن: الشّخصيَّة المتطلّعة هي الشّخصيَّة التوافقيّة، التي تستوعب قيم وفضائل (الذاتية) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحريَّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ

والعدل والواجب والمسؤولية على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، وعندما تتأهّب الشّخصيَّة لتجسيد هذا المفهوم التطلُّعي توصف بأنَّها متطلِّعة ومستواها الفكري هو على المنطقيّة.

وهنا فالشّخصيَّة المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، بل تمتدُّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتأهّب لتحدّي الصِّعاب وبلوغ المأمول ونيله.

النَّهضة المهنيَّة تطوّرًا:

لا شكَّ أنَّ المعجز لا يكون إلَّا من الخالق تعالى، ومع ذلك كان التطوّر على مراحل من الارتقاء الخَلقي والمعرفي لكي يدرك الإنسان المعجز والمستحيل ويسلّم بهما؛ ومن ثمّ يدرك أنَّه بإمكانه أن يعمل ما من شأنه أن يمكّنه من إدراك المزيد من المعجز والمستحيل حتى يزداد علمًا ومعرفةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ تَطوّرَ الوجود من لا شيء يُدرك إلى شيء مُدرك استفزَّ عقول العلماء بحثًا بغاية معرفة الحقيقة، ومن هنا كانت معرفة علماء الفيزياء لتلك بالذّرة أو النّواة الأولى، ثمّ الانفجار العظيم الذي به أصبح الكون وجودًا، والحياة تملؤه شيئًا ولا شيء؛ فتكوّرت النّجوم والكواكب، وكانت

الأرض المكان المناسب لحياة الأزواج التي خُلقت منها خلقا: {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}[1].

ولأنَّ الأرض مكان خلق الخلائق فكانت الأجناس والأنواع جمادًا ونباتًا وحيوانًا وبشرًا، وما لا نعلم خَلقٌ من تراب، ولكن لكلّ طينته التي تميّزه عن غيره وفقا لمشيئة الخالق: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ}[2].

ومع أنَّ خَلق الإنسان الأوَّل (آدم) من ترابٍ، فإنَّه لم يكن ترابًا، بل بشر في أحسن تقويم، هيئة وصورة وعقلا: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ}[3]، أي: إنَّ الإنس الذي خُلق من طين ليس بطينٍ، وهنا يكمن الإعجاز الخلقي؛ فلو كان الإنسان طينًا لكان جدارًا.

ومع أنَّنا نتحدّث عن الإنسان الأوَّل (آدم) فإنَّنا نشير به إلى الجنس البشري الذي من البدء كان خلقه على الزّوجية (آدم وزوجه)، مثله مثل بقية الخلائق كلّها خُلقت على الزّوجية الثنائيَّة، ولا شيء خُلق على الفرديّة، (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ)؛ ولذلك يصعب علينا الأخذ القاطع بما لم ينزَّل قرآنا، وهو: أنَّ حوَّاء من ضلع آدم؛ فكيف لنا بذكر حواء واسم حواء لم ينزل في القرآن ولا مرّة واحدة؟ بل قال القرآن (زوجك)

---

[1] الذاريات 49.

[2] الحجر 19.

[3] ص 71.

ولم يقل (زوجتك)، ومن هنا فالفرق كبير بين المفهومين؛ فزوجك يشير إلى دلالة التسوية الخلقية من تراب، أمّا زوجتك فأمرها يعود كما يعود أمر خلقك إلى نطفة، {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}[4]، ثمّ أكّد أنّها (زوجك)، ولم ترد كلمة (زوجتك) ولا مرّة واحدة في القرآن أيضًا مصداقًا إلى قوله تعالى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ}[5].

إذن: فخلق الإنسان إعجازًا تطوّر من تراب إلى بشرٍ وكأنَّه لا علاقة بالمشاهدة بين الصّفات الطينيّة، وصفات الإنسان التي خُلق عليها بشرًا سويًّا، ولكن هذا التطوّر الخلقي نشأ الخلق عليه نشوءا: {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ}[6].

النَّهضة المهنيَّة ارتقاءً:

الكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنَّه العمل ارتقاء (بناءً وإصلاحًا وإعمارًا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعًا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذًا.

---

[4] الأعراف 19.

[5] طه 117.

[6] هود 61.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنَّ الارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير، ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إنْ لم تقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّامين ندم.

فالعمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، ولذا؛ فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل لتكون المكانة فردية وجماعية: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[7]. فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[8].

[7] الأنعام 135.

[8] التوبة 105.

وهكذا جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة، التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه إرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر لكونه لم يكن كذلك، فغزا الفضاء اكتشافًا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء، أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها؛

فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

النَّهضة المهنيَّة نُقلةً:

النَّهضة المهنيَّة لا بدَّ وأن تترك أثرًا يُحدثُ نُقلة بها تطوى صفحات الرّكون والسُّكون والانغماس في أخذ المساعدة وكأنَّها الغاية المأمولة؛ ولذا فالنُّقْلَة مفهومٌ يعبّر عمّا حدث من تغيُّر وتغييرات كان لها الأثر الرّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه يلاحظ الفرق الشاسع؛ والنُّقْلَةُ من المعنويَّات كالتطوُّر والطفرة؛ لأنَّها الاسم نفسه.

والنُّقلة غير النَّقلة؛ لأنَّ النُّقلة تطلق على الأثر الرّفيع الذي ظهر على من أصبح معرفيًّا وثقافيًّا على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمَّا النَّقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنقلة بضاعة، أو نقلة ركّاب، أو أيِّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي اسم مرّة من النَّقْل، يقول العسكري: النَّقلة لا تكون إلَّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره[9]

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النَّقلة في غير مكانها، أي: إنَّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النُّقْلَة النوعيَّة.

[9] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، ص 147.

وأقول لمن يرغب بلوغ النُّقلة: إنَّ تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعية، ويمكّن من تجاوز المستويات القيمية الثلاثة: (الذاتية والانسحابية والأنانية) إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصادية والسياسيّة وبالعلائق النَّفسية والذوقية والثَّقافيَّة.

ولأنَّ تحدّي الصِّعاب يمكّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابية فأمرهم غير ذلك. فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمية التي هم عليها. ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّزهم على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أو خارجية أم أمر سلم أو حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة يمكّنهم من بلوغ النُّقلة النوَّعيّة، وهكذا بالتمام تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميَّة الاستيعاب في

تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ إحداث النُّقلة ليس مستحيلًا ولا معجزًا، بل إنَّه في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكنٌ، فلم لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاءً؟

الإرادة

الإرادة لا تكون إلَّا بيد من يمتلكها قرارًا وتنفيذًا، وهي التي بها تمارس الحقوق، وتؤدّى الواجبات، وتحمل المسؤوليَّات وعيًا ورغبة.

ولأنَّ كلمة الإرادة جاءت من الفعل: (أراد – يريد ــ إرادةً) فإنَّ الذي (أراد) أنْ يكون حرًّا ليس له إلَّا أن يمتلك إرادته ويحافظ عليها، أمَّا الذي (يريد) إرادته ليس له إلَّا المطالبة بها، حتى يتمكّن منها حصولًا، أمَّا مفهوم (الإرادة) فيعني امتلاك زمام الأمر سواء أكان الأمر بيد صاحبه أم بيد غيره؛ ولكن عندما يكون أمر الإرادة بيد صاحبها فصاحبها يوصف حرًّا، وعندما يصبح أمرها بيد الغير يكون أمر صاحبها بلا إرادة.

ولهذا فالإرادةُ قرارٌ اختياري يؤخذ بوافر الرَّغبة تجاه كلِّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، وهي وثيقة الصّلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويَّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

ومع أنَّ الإرادة شيء معنوي، وأمرها يتعلّق بالحريَّة، فإنَّها عندما تتجسّد في الفعل والعمل والسُّلوك الممارس لها تتعرَّض للتقويض المؤلم من قِبَلِ المتحكِّمين في الأمر.

ولذا فالإرادة ملكيّة خاصّة، لا يتصرّف في شؤونها إلَّا من يمتلكها قرارًا وتنفيذًا؛ إذ لا إجبار ولا إكراه في إدارتها وإظهارها وتتويجها في ميادين

الفعل، وهي لا تدار إلَّا عن رغبةٍ، مع العلم أنَّ إدارتها بكلّ حريَّة ترتّبُ على من يمتلك شؤونها تَحمُّل ما يترتّب عليها من ردّة فعلٍ وأعباءٍ جسامٍ.

وبالتالي فمن يمتلك الإرادة يستطيع أن يقرّر إيجابًا أو سلبًا، ومن لا يمتلكها يعدُّ مملوكًا لغيره (المتحكم في شؤونه)؛ ولهذا لا إمكانيَّة لممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي إلّا عن إرادة، ولا يمكن أن يكون الإنسان متطرِّفًا إلَّا بعلل التحكم في الإرادة، أي: كلَّما اشتدّت آلام التحكُّم في إرادة الإنسان اندفع تجاه الرَّفض، والتمرّد، والثورة، وقبول الموت من أجل الحريَّة.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وتزيده ثقة، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرًا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة؛ فهي الدّالة على معرفة الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارًا.

وعليه: ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة إذا وعى الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل، أو حتى فيما يفكّر، ولِم يتهيأ؛ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هيّ قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانًا بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر

ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم إن أردنا حياة بلا تطرُّف.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي لها أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي لنا الاعتراف بممارستها؛ ولهذا يسعى الإنسان دائمًا لنيل الاعتراف؛ لأجل تبوء مكانة اجتماعيَّة، أو علميَّة وإنسانيَّة.

ومن هنا ينبغي لنا أن نميّز بين الإرادة الفرديَّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفرديَّة هي في حدود الخصوصيَّة التي تتساوى فيها مع خصوصيَّات الآخرين دون اختلاف، وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمَّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيَّات واختصاصات تشريعيَّة وقانونيَّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقًا لمعايير موضوعيَّة متّفق عليها بمقاييس الجودة؛ ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنَّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل من دون توافر الإرادة فقد لا يحقِّق للفعل إنجازًا موجبًا، أو لم يُنجز أصلًا بأسباب الإجبار والإكراه، أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم، فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها؛ ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة واستثناء إفسادي، فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة فعليك ألا تستهين بالأمر، وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقَّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعًا10.

فالإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما أقدم عليه من أخذ ببديل على حِساب بديل آخر، سواءً أكان ذلك المترتّب سالبًا أم موجبًا.

ويتصوَّر كثير من النَّاس أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

والاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقًا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن

[10] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 . 43.

يختار أو يستبدل ما يشاء وفقًا لتفضيلاته، أو وفقًا لِما هو أقلّ ضررًا، أو لِما هو أكثر ضررًا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله، وفقًا للمتاح مع مراعاته الظّرف الزّماني والمكاني، ولكلٍّ خصوصيّة لا تتطابق مع خصوصيَّات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والاختيار والرَّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب؛ لتكون السُّبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ، وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى: أنَّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولًا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال، فالتعويض مثلًا: هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه؛ لضرورة أو لرغبة أو حاجة[11].

[11] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت،2011م، ص 117.

والإرادة، التي لا اختيار إلّا بها، ولا تقليد إلّا بها متى ما كانت واعية بما يراد، كان الاختيار صائبًا، ومتى كانت غير واعية بما يُراد فلا تكون إلّا خاطئة، ومن هنا يقع البعض في أعمال التطرُّف وهو لا يدري حقيقة أمره في هذا الشأن المضاد للقيم والقوانين.

والإرادة قوّة اتخاذ القرار بلا مؤثرات خارجيَّة كابحة، فبها تحدّد الأهداف وتنجز، وبها تحدد الآمال وتنال، وهي التي تعطي للتخيير معنى ودلالة، وبالتَّالي: إن كان الاختيار موجبًا كان توظيف الإرادة موجبًا بناء وإعمارًا، وإن كان الاختيار سالبًا كان التوظيف هدّامًا ما يجعل السُّلوك بين انحرافٍ وعنفٍ وتطرُّفٍ.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على التّسيير فيما لا طاقة له به، فإنّه كذلك خُلق على التخيير فيما لا تسيير فيه؛ فهو بالنّسبة إلى المستحيل والمعجز مسيّر، أمّا بالنّسبة إلى دائرة الممكن؛ فهو مخيّر بين متوقّع وغير متوقّع وفقًا للإرادة والمقدرة، وبالتالي له الحق أن يختار ما يشاء وفقًا للقيم والأعراف والقوانين المنظمة للسُّلوك والضابطة له، أمَّا في غير ذلك فليس له حقٌّ، ومع ذلك قد يمتدّ البعض على حساب حريّة البعض، ومن هنا يحدث التَّماس والصِّدام والخصام، بل وتحدث المواجهة وارتكاب أفعال التطرُّف وأعماله.

فالإنسان خُلق على الفطرة والتقليد، وهو في أحسن تقويم، ثمّ جاء الإنباء ميسّرًا لما تعسّر أمامه؛ ذلك لأنّه المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه،

ولا تخيير له في ثنائية وجوده، بل التخيير كان بأسباب الاختلاف الذي خُلق عليه جنسًا ونوعًا؛ ولهذا الإنس غير الملائكة والجنّ، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصية تجعله مختلفًا عن خصوصيَّات الغير، وهكذا تكون الإرادة، فهي مع أنّها من حيث المعنى واحدة، فإنّها من حيث الممارسة بين تيسير وتعسير، ولكلّ حسب ظروفه الشّخصيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والذَّوقيَّة.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيَّرًا؛ فهو يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب، وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونيّة، ولأنّه مخيّر إرادة؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك كما يشاء؛ ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ هو بين يديه إرادة، ولأنَّه بين يديه إرادة فهو المخير بين اتباع سُبل الرّشاد مهتديًا، أو سُبل الضلال متطرّفًا: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[12]، وقال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[13].

[12] البلد 8 _ 10.

[13] الإنسان 3.

تقويض الإرادة:

ولأنَّ مفهوم الإرادة يرتبط بالحريَّة ممارسةً، فإنَّ تقويض الإرادة يعدُّ تقويضًا لممارسة الحريَّة؛ ذلك لأنَّ التقويض إحاطةٌ ومحاصرةٌ لا تسمح للإرادة أن تتمدّد بحريَّة؛ فهي تحدّ منها أو أنّها تمنعها منعًا باتًّا، فالإرادة على الرّغم من أنّها قيمة إنسانيَّة حميدة، فإنّها عبر التَّاريخ تتعرّض إلى التقويض والانكماش.

وعليه: فالتقويض فعل هدمي إفسادي: (معنوي ومادي) بهدف إسقاط المنظومة القيميَّة أو البنائيَّة، فبه تتم زعزعة الإرادة بأفكار لا علاقة لها ببناء المستقبل ولا صنعه.

ولكن أيَّة إرادة؟

أقول:

الإرادة العازمة على إحداث النُّقلة إلى بلوغ المأمول المرجو، وهذه عادة ما تحدث بين الإرادات المتنافسة صراعًا؛ بعلَّة الخوف من تمدّد القوَّة الاقتصاديَّة والعسكريَّة على حساب زيادة المكاسب والمغانم.

ولهذا يتمُّ العمل على تشتيت جهود المنافس، أو جهود الخارجين عن الإرادة المسيطرة على المنظومة الدوليَّة، كما حدث مع عبد النَّاصر، ومع صدَّام حسين، ومعمَّر القذافي، وكاسترو، وما يحدث الآن مع الرَّئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو.

أي: مع أنَّ سياسة العالم نظريًّا تبارك وتؤيّد الرَّاي والرَّاي الآخر، فإنَّها عمليًّا لا تقبله، بل تعمل على تقويضه أوَّلًا، وثانيًا تواجهه لتكون النتيجة: الاستسلام والانكسار، أو القضاء عليه نهائيًّا.

ومع ذلك فالفرق كبير بين أن تقوِّض رأيًّا أو شخصًا وأن تقوِّض إرادة؛ ذلك لأنَّ الرَّاي يتغيَّر ويستبدل، والشخص كذلك، ولكن إنْ قُوِّضت الإرادة قُوِّضت الحريَّة بأسرها، وهذا لا ينطبق على الإرادة المنفلتة، بل الأمر يتعلّق بالإرادة المتمركزة على الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة، أمَّا الإرادة المنفلتة (غير المنضبطة قيمًا وخلقًا) فينبغي أن تقوَّض وتربط بمعياريَّة تعيدها إلى الذاكرة وبوصلة القيم.

والتقويض قد يكون: داخليًّا، وقد يكون خارجيًّا؛ فإن كان داخليًّا محليًّا كان التقويض داخل الحدود، وهو كما يحدث بين الشعب ورأس النظام وقمَّة سُلطانه، أي: عندما يقدم رأس النظام على التفرُّد بأمر السُّلطان ويصبح دكتاتوريًّا في أسلوبه ووسيلته، ولا نهوض في عهده، فلا بدَّ أن يجد نفسه مقوَّضًا من أقرب الدوائر التي كان يعتقد إنَّها ذراعه وعصاه الطولى.

أمَّا إذا كان التقويض من الخارجِ: فالأدوات المستخدمة فيه معلوماتيَّة ومخابراتيَّة واقتصادية (حصار يُمكِّن من التحكم في كلِّ داخلٍ وخارجٍ، مع قرارات المنع والحرمان، والمعاقبة القهريَّة).

وفي التقويض الدولي لأيِّ نظام تتفاعل فيه روح التعاون والعمالة بين الداخل والخارج، فتحرك منظمات المجتمع المدني، والأحزاب المدعومة من الخارج؛ للتظاهر المطوَّل زمنًا بهدف إرهاق النظام، أو الدَّولة المستهدفة بالتقويض.

وأقول: إنَّ الشعوب لا تتفاعل دائمًا مع الأجنبي، وإن توحدت المطالب أو الغايات، فعلى سبيل المثال: ما يجري الآن في الجزائر من حراك شعبي وطني جاء في وقته بإرادة شعبيَّة جزائريَّة محليَّة، وهذه من طباع الجزائريين العظام، وهكذا الشعب السوداني البطل، الذي يتظاهر بإرادة سودانيَّة وطنيَّة، ومن هنا سقط نظام المعاق بدنًا وذهنًا مع نظام البشير المعاق عقلًا وفكرًا، ومع الفارق أقول: إنَّ السيد الرئيس المخلوع عبد العزيز بوتفليقة كان مناضلًا ولا غبار على ذلك؛ أمَّا ذلك المتقلِّب فأصبح في قمامة التَّاريخ.

ولأنَّ الإرادة واجبة التحرير نزلت الرّسالات الإلهية من أجل تحريرها من ذلك التقويض، الذي جعل النَّاس يتّخذون آلهة من دون الله؛ فكان التوحيد كسرًا لتلك القيود والأطواق من أجل حرّية الإنسان، ولكنَّ الصراع بين الخير والشرّ لم ينته بعد، مع أنَّ الحقَّ أصبح بيّنًا والظُّلم بيّنا؛ فاهتدى من اهتدى، وكفر من كفر، وأشرك من أشرك، وضلّ من ضلّ، وطغى من طغي؛ فالذين اهتدوا اختاروا الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح سبيلًا، والذين ضلّوا وطغوا اختاروا الفساد والإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ

سبيلًا؛ ولهذا الصّراع والصّدام بين المصلحين والمفسدين دائمًا يشتدّ إلى أن يحسم الأمر الذي به تتخلّص الشُّعوب من أولئك المارقين.

فالمارقون الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلدانهم حكموا النَّاس بإرادة ضالة، كما كان حال فرعون، الذي قال كما جاء في القرآن الكريم: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}[14]، فهؤلاء لا يرون شيئًا يعلو على رؤاهم، ومن يخالف رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد، والمكر، والدّسائس وصولًا إلى إقصائه بعد أن يلبّس بكمٍّ من التّهم التي تلفّق له؛ ليُدانَ بتلك القوانين، التي سنّت من أجل الطّاعة للظلمة، ولكن لأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعيَّة، ترفضها الإرادة الإنسانيَّة كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويحول بينها وبين ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي؛ ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة لا بدَّ له أن يرفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، كما يرفض من قيّد النَّاس بها، ومن أمر بوضع القيد في الأيدي، والطوق في الأعناق.

ولأنَّ الإرادة قوّة فاعلة متى ما أطلق عَنَانُها بلا مظالم؛ فهي على علاقة قوّة مع قيمة الرَّفض وارتكاب أفعال التطرُّف، فالرَّفض كونه فعلا متحقّقا لا يكون إلّا عن إرادة؛ ولهذا فالإرادة هي القوّة الدافعة للإقدام على الفعل، فالفعل في دائرة الممكن يتحقّق بالقوّة، ولكنّه ليس دائمًا

[14] غافر 29.

متحقّقًا بإرادة، فالإكراه والإجبار يقودان إلى تحقيق الفعل بالقوّة حتَّى ولو كان الفاعل غير راضٍ.

أمَّا إذا بلغ حال الفاعل درجة الرَّفض والتطرُّف فإنَّ الإرادة تكون ضمنيًّا متحقّقة بفعل الرَّفض والتطرّف، غير أنَّ الرَّفض أوَّل ما يتحقّق فيتحقّق قولًا، أما التطرّف فيتحقق فعلًا، أي: إنَّ الرَّفض قول يقال في مواجهة أو عن خطاب ورسالة، أو أن يكون مثل التطرُّف متحقّقًا فعلًا وعملًا وسلوكًا.

ولأنَّ الإرادة إشهار عزم مع وضوح نيّة؛ فالتطرُّف كونه فعلًا متحقّقًا قولًا وعملًا وسلوكًا؛ فهو المعبّر الحقيقي والموضوعي عن مستوى الشّخصيَّة الرّافضة والمتطرّفة.

وهنا تصبح الإرادة إعلانًا صريحًا عن امتلاك الرّافض لزمام أمر الرَّفض، ممّا يجعل الملاحظين والمقوِّمين خير واقفٍ على المشاهد والملاحظ الذي يعكس حقيقة الرَّفض عن إرادة.

فالإرادة قيمة مشيئيّة اختيارية تتمركز على الرَّغبة والوعي، ومع أنَّ الإرادة موجبة فإنّ المترتّب عليها اختيارًا قد يكون موجبًا وقد يكون سالبًا؛ فالإنسان بإرادته يؤمن، وبإرادته يكفر، أو يُشرك، أو يضل، أو يسرق، أو يكذب، أو ينافق، أو يتطرّف وكلّ هذه المتنوّعات اختيارية، ولكنّها قد

تكون عن وعي، وقد تكون عن غفلة أو جهل: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[15].

فقيمة الإرادة تصميم واعٍ يُمكِّن الفرد والجماعة والمجتمع من اتّخاذ القرار الذي يتعلّق بأمرهم، سواء أكان هذا الأمر سياسة داخليَّة أم خارجيَّة أم سلما أم حربا؛ ولذا لا يُتّخذ القرار إلّا بعد معرفة تامّة بما يجب وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فبالإرادة تُحدّد الأهداف، وتُرسم الخطط ويتمّ الإقدام على تنفيذها بكلّ حرّية.

وعليه: الإرادة هي قيمة الحريَّة في اختيار الخير أو الشرّ أو اتخاذ المواقف المحايدة بأسباب عدم التبيّن، أو لأسباب الخوف والنّفاق، وبالتّالي لا حرّية دون إرادة، ولا إرادة دون حرّيَّة، فهنا تكون الإرادة قيمة حميدة ذات خصوصية؛ وذلك لتعلّقها بالإنسان الحرّ وعلاقاته بما يُقدَّم إليه من اختيارات متنوّعة، وبما يرغب وما لا يرغب، أمّا الحريَّة فيغلب عليها الطّابع السّياسي الذي قد يجد الإنسان نفسه معها في حالة تكيُّف حتَّى وإن كانت لا تمدُّه بما يحقّق له التّوافق.

وعلى المصلحين والتربويين وولاة الأمور أن يعملوا على تقوية إرادة الذين يتعلّق أمرهم بهم؛ حتَّى لا يكونوا منهزمين في أثناء مناقشتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، أو يكونوا مستسلمين لأمرٍ واقعٍ ليس بموجب، وأن

[15] الكهف 29.

يعملوا جادّين على تفطينهم من الغفلة التي قد تلمّ بهم، وتبعدهم عن ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمْل مسؤوليَّاتهم دون إكراه وظلم.

وهنا تُعدّ الإرادة قيمة تعاقديَّة بين التخيير والاستطاعة ينبغي أن تقوَّى لأجل أن تتّسع الهوة بين الأفراد، وما يؤدّي بهم إلى الإكراه أو الإجبار والإقصاء، فبالإرادة تمارس الحريَّة، وتتأكد السّيادة، ممّا يجعل النتائج المتوصّل إليها مرضية للفاعل حتَّى وإن كانت نتائجها سالبة.

ومع أنَّ الإرادة تُمكِّن من ممارسة الحريَّة اختيارا، فإنَّ الإرشاد للحقِّ بالحقِّ حقّ على من يَعلم ويؤمن ويُدرك العواقب، فهناك القاصر والجاهل والمغرّر به، فلا داعي للإفساد، ولا داعي للتّسفيه، أي: لا داعي أن يسفّه الحاكم إرادة الشّعب في التعبير عن رأيه، ولا داعي للقمع بما أنَّ الإرادة لم توظّف في باطل أو سفك دم بغير حقّ، ولا داعي للظلم بما أنَّ الناس لم يتجاوزوا الحقّ.

ثمّ من واجب المتعلِّم أن يُعَلِّم، ويُعلِم من لم يتعلَّم، ومن لم يَعْلَم بما عَلِم من معارف خيِّرة تسهم في تقويّة الإرادة، وتوجّهها لما يفيد وينفع الجميع، وعلى أولياء الأمور حقّ الرّعاية الحقّة، فالأنبياء عليهم السَّلام من قبل بشّروا وهدوا وبلّغوا ما أُنزِلَ عليهم من وحيٍ، وحرّضوا به الأقوام والشّعوب والقبائل وسكان القرى والمدن والكافّة وتركوا للإنسان الحريَّة الإراديّة في الاختيار طاعة لأمر الله؛ ولذا فمن يطع الله لا يمكن أن يقبل

بطاعة من دونه إلّا لأمرٍ هو جزء منه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدّين قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[16].

ومع أنَّه في دائرة الممكن امتلاك الإرادة هو امتلاك للحرّية الشّخصيَّة، فإنّ هذه الحريَّة لا وجود لمطلقيّتها؛ فالإطلاق أمره بيد خالق الإطلاق؛ ولهذا بالإرادة في الحياة الدّنيا هناك من كَفَرَ وهناك من يكفر، أمَّا في الحياة الآخرة فلكلٍّ حسابه ثوابًا أو عقابًا، ولأنَّ الإرادة فضيلة خيّرة أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسّلام أن لا يفرض شيئًا على النَّاس، بل عليه البلاغ، وعليه بالمشاورة في كلّ أمرٍ يتعلّق بالنَّاس، ثمّ جعل أمر النَّاس من بعده شورى بينهم؛ حيث لا إكراه في الدين: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}[17] ثمّ قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[18].

ومع أنَّ الإرادة واجبة إطلاق العنان بلا ظلمٍ، فإنَّ السَّاسة غير الديموقراطيين عبر التَّاريخ يقوّضونها بلا دليل ولا حُجَّة؛ ولهذا لا يمكن أن يستقرَّ لهم نظامٌ، ولا يمكن أن يصنعوا مستقبلًا مأمولًا.

إذن كلّ مقيدي الإرادة عبر التَّاريخ معادون لممارسة الحريَّة ديمقراطيا، والزّمن كفيل بترويضهم، وفي المقابل إرادة الشّعب متى ما تمكّنت من المبادرات المفاجئة حقّقت لهم الهزيمة.

---

[16] البقرة 256.

[17] آل عمران 159.

[18] الشورى 38.

ومع أنَّ الإرادة لا إكراه فيها إلّا أنَّ المعرفة الحقّة تُسهم إسهامًا كبيرًا في استنارة الإرادة بالموجبات تحليلًا وتحريمًا، ونفعًا وضرًّا حتَّى يتمَّ الأخذ بما يجب عن إرادة ووعي، ويتمّ الانتهاء عمَّا لا يجب إرادة ووعيًا؛ ولهذا فبالإرادة يتمّ تبيّن الحقِّ والحكم به عدلًا، وكلّ في دائرة الممكن حسب الاستطاعة.

ولأنَّ الإرادة فطرة لا تقبل ظلمًا، وجب سيادة الاعتبار بين الأنا والآخر؛ حتَّى لا تتصادم الإرادتان؛ فليس كلّ ما يُراد بإرادة يجب أن يؤخذ أو يتمّ، بل يجب أن يُقدّر الآخر الذي يمتلك الإرادة ومعطياتها ومستوجباتها كما يمتلكها الأنا، وإن لم تراع قيمة الإرادتين تقديرًا واعتبارًا واعترافًا يحدث الرَّفض وقد ينجم الصدام، ولتوضيح دلائل الإرادة قال تعالى: {وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا}[19].

في هذه الآية الكريمة شرطان للإرادة:

- الشرط الأوّل: على المرأة بقوله تعالى: (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) أي: إن وهبت نفسها إرادة للنّبي أن يستنكحها.

- الشرط الثّاني: على المرأة أيضًا، فإن كانت بإرادتها قد وهبت نفسها للنّبي؛ فعليها أن تحترم وتقدّر إرادته تجاهها: (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا)، أي: عليها أن تعرف هل هو راغبٌ أن يستنكحها؟ فإن كان راغبًا تطابقت الإرادتان، وإن لم تتطابق الإرادتان؛ فعليها تقدير ذلك تقديرًا عاليًا؛ ولهذا

[19] الأحزاب 50.

عند المسلمين عقد النّكاح يستوجب الموافقة الإرادية من المستهدفين بعقد النّكاح؛ لتكون قيم الاحترام، والاعتراف والتقدير والاعتبار سائدة بين الأنا والآخر (الزّوجين).

والإرادة معرفة ووعي بما يجب وبما لا يجب، وهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، وهنا تكون الإرادة وثيقة الصّلة وعيًا بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقةٍ مع الموضوع، الذي به ظهرت إلى حيّزِ الوجودِ المشاهدِ والملاحظِ.

فالإرادة هي قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مُستهانًا بهم، سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يحترم ويتّعظ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع؛ فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين.

ولأنَّ الإرادة قيمةٌ إنسانيَّة؛ فلا ينبغي أن تقوّض من أَحَدٍ، وهنا تكمن قيمة الإرادة في أنَّها مشبعة للحاجة، وفي المقابل عندما تقوّض تصبح حاجة في ذاتها، أي: إنَّها حاجة لكلّ إنسان على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، وبها تُشبع الحاجات التي ستظلُّ مشبعاتها مطلبًا إلى أن يتمّ الحصول عليها إرادة، أو أن يتمّ انتزاعها بالقوّة انتزاعًا.

إنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباءٍ جسامٍ، ومن ثمّ لا يترتّب ندم عليها؛ ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة تعيد الأمور إلى ما يجب، وفي مقابل ذلك استثناءٌ إفساديٌّ يؤدّي إلى ما لا يجب، وللتوضيح أقول:

القاعدة الإصلاحية: هي التي تقود إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ، ممّا يجعل النَّاس يتمسّكون بما يتعلّق بشؤونهم، ومنها:

. التّمسك بالدِّين والدِّفاع عنه، حتَّى ولو كان بعض المنتمين إليه غير ملتزمين بأداء معتقداته.

. صون العِرض والدّفاع عنه.

. التمسّك بالهويَّة والدّفاع عنها.

. صون الوطن والدّفاع عنه.

. ممارسة الحقوق وأخذها بإرادة أو بقوّة.

. أداء الواجبات في مقابل حقوقٍ تمارس، وتأديتها بإرادة أو بقوّة.

. حمْل المسؤوليَّات يجعل المواطن مركزًا ولا آخر غيره.

. إصلاحُ الأرض وإعمارها وسلامة بيئتها بُعدٌ إنساني ومسؤوليّة عامّة.

. تعلُّم المفيد والأخذ بما هو مفيد يؤسّس للموضوعيَّة قاعدة بين الأنا والآخر.

وفي مقابل هذه القواعد تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا أو الآخر، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه مهيمنًا في خانة الاستثناءات مطاردًا، حتَّى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيًا سلامة الوطن، والأمن العام، وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتَّى وإن نصَّب نفسه واعظًا ومرشدًا بما أنَّه في دائرة الاستثناءات؛ ولذا سيظلُّ مطاردًا بالقوّة حتَّى يعود إلى ما يُرسِّخُ تلك القواعد، التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة عن إرادة.

ولذا فكلّما اشتدَّت المطاردةُ، واشتدَّت التأزُّمات، وهُدِّدَ الآخرون بالموت من قِبل مَن هم في دائرة الاستثناءات أصبح الموت عندهم مطلبًا مع توافر الرَّغبة؛ ولهذا يفقد الشّرطيُّ سلاحه، والواعظ حُجَّته، التي بها يلاحق الآخرين، ويصبح هو الضحيَّة بلا ثمن.

وعليه:

إنَّ الموت الذي هو سلب الحياة، يتحوَّل إلى قيمة عالية تنال الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح بتحرير الوطن، أو صدّ خطر يحاك ضدّه، أو ضدّ الشّرف، والدّين، والقيم الحميدة والفضائل الخيِّرة.

إنَّ المتهيّئين لأداء الأفعال بإرادة هم الذين يمتلكون زمام أمرهم، فيستطيعون اتخاذ القرار المناسب من وجهة نظرهم، التي قد لا تكون سليمة ومناسبة لأداء الفعل، أو الإقدام عليه؛ فيدفعون الثَّمن مضاعفًا؛ حتَّى يكتشفوا ما يجب ليتخذوا إليه سبيلا، ويكتشفوا ما لا يجب وينتهوا عنه إرادة دون تردّد، وإن تردّدوا تزداد التأزُّمات تأزُّمًا، ممّا يرتِّب على هذه التأزُّمات أفعالًا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تملؤها المفاجآت، التي في كثيرٍ من الأحيان تكون نتائجها مؤلمة.

ولأنَّ الإرادة لا تقف عند حدّ اتخاذ القرار؛ فهي تمتدّ لتنفيذه، وإلى الأسلوب المناسب لذلك، والطَّريقة التي تُتَّبع إجرائيًّا وسلوكيًّا حياله؛ ولذا فالإرادة دائمًا سابقة على الفعل وبها يُنفَّذ، أي: لو لم تسبق الفعل قد لا يُنفّذ أو يُنفّذ بأثر سالبٍ؛ ولهذا فالإرادة قوّة موجبة لا ينبغي لنا الإغفال عنها، وعن أهميّتها، وعمّا يترتّب على أوجه استخداماتها المتعدّدة سلمًا وحربًا وتطرُّفًا، ولا ينبغي أن تقوّض بأيّ علّة.

ولأنَّ التنفيذ فعلٌ؛ فقد يكون تنفيذه بإرادة، وقد يكون بالإجبار والإكراه، ولكلٍّ ردّة فعلٍ موجبة وسالبة، ولكلٍّ ثمنه، ولأنَّ ثمن الإكراه سالب؛ فيجب الانتهاء عنه حتَّى في الدّينِ المنزَّل من عند الله تعالى، حيث لا إكراه في الدين؛ ولهذا بالإرادة ينبغي أن يُقيِّم الأنا والآخر ما يفعلون وإلّا سيتعرَّضون إلى التقويم الذي لا يكون إلّا حيث ما يكون الاعوجاج.

والتقييم مراجعة دقيقة للحالة والمعطيات، التي قد تكون مناسبة لزمانٍ، وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمانٍ آخر، ومن يتّقِ الحقُّ يجد الحقَّ له مُخرِجًا، ومن يقبل أن يُقيّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم، ومن لا يقبل سيكون الزّمان كفيلًا بترويضه كما روَّض كثيرًا من الطّغاة.

وعليه: لا قيمة لممارسة الحقوق دون إرادة، ولا قيمة ولا أهميَّة لأداء الواجبات ما لم تكن عن إرادة، ولا قيمة ولا أهميَّة لحمْل المسؤوليَّات ما لم تكن هي الأخرى عن إرادة، أي: لا قيمة، ولا اعتبار، ولا تقدير، ولا اعتراف لأيّ شيء بالإكراه، والإجبار، والإرغام بغير حقّ.

الإرادة تحدّي الصّعب:

الإرادة مع أنّها قوّة يُمكِن أن تنجز ما لم يكن متوقّعًا، فإنَّها تفاديًا لما يؤلم تأخذ مساحة من التجنب، وهذا لا يعني أنَّها تستسلم له، بل إنَّها تبحث عن كيفيَّة التخلّص منه؛ حتى لا يترك أثرًا، وفيه تكمن العلل.

ولأنَّ الارتقاء الإرادي ممكن فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها؛ ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم بإرادة، لا بدَّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب إرادة) أمّا الاستثناء: (الاستسلام إليها قهرًا).

ولأنّ الممكن إرادة يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر؛ حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ولكن أيّ عمل؟

أقول: العمل إرادة يمكن أن يكون موجبًا، مثل: البناء والإعمار، ويمكن أن يكون سالبًا، مثل: التطرّف، وارتكاب الجرائم، غير أنَّ البناء والإعمار تحدّي صعاب، أمَّا التطرّف وارتكاب الجرائم فاستسلام أمام الصّعاب على الرّغم من خطورتها.

ولهذا فامتلاك الإرادة في دائرة الممكن يُمكِّن من الارتقاء، الذي فيه المواجهة موجبة مع ما يمكن أن يكون من فعل سالب، فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيّؤ والاستعداد والتأهّب إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدافعة إلى تنفيذ العمل، ومواجهة ما يعيقه من صعوبات؛ ولذلك فالذين يتهيّأون ويستعدّون

ويتأهّبون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلتهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

إذن: فمن تهيّأ واستعدَّ عن إرادة للعمل وأقدم عليه فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ الإرادي للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ الإرادي متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول إراديًّا يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيّؤ استعدادٌ؛ فلا إمكانيَّة؛ حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنَّ غياب الإرادة يغيّب كلًّا من التهيّؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما، وتضعف بضعفهما.

ومع أنَّه لا إمكانية للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، حتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن فإنَّها تظلُّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب إرادة يؤجج في النَّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف، مع إصرارٍ على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء حتى ولو كان تطرُّفًا.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاءً لا بدَّ وأن يكون متأهِّبًا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة فأخذ الحيطة والحذر ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحًا مساندًا.

فالصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدًا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق، فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها إرادة مع مزيد من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل

المأمول، أو الفوز به؛ ولهذا ينبغي أن تواجه أعمال التطرّف تحدّيًا، أي: لا يمكن أن يتم القضاء على التطرُّف ما لم نقرَّ بأنَّ تحديّه صعبٌ، فإن أقررنا وجب العمل تحدٍّ.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب إرادةٌ فعليك بالآتي:

. ألّا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير، الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقَّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقَّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيًا.

. اصّمد؛ فالصّعب لا يصمد، أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي؛ حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويَّة؛ فينبغي أن يواجه بها، ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية، وعندما تمتلك ذات السّلاح فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحًا وتصالحًا وعفوًا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[20].

[20] الأحزاب 25.

. وإذا كانت مواجهة الصّعب ليست مستحيلة وممكنة، فَلِمَ لا تكون إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ، يعملون على إحقاقه تحدّيًا، وقهرًا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل؛ من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة تحدّيًا ورغبة وإرادة؛ ولهذا الصّعب يقهر، والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثّمن جهدًا ووقتًا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلًا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجًا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوّلًا مع المتسولين على الأرصفة، وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل إرادة تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي إرادة تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب إرادة تجد الصّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة

الممكن إرادة بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيّأون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون؛ حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل لا تطرّف من بعده.

امتلاكُ الإرادةِ مخيفٌ:

ولأنَّ امتلاك الإرادة امتلاك قوّة؛ فالقوَّة دائمًا مخيفة لمن لا يمتلكها؛ ولهذا فمع أنَّ اتخاد قرار التحكّم في زمام الإرادة ليس بالأمر الهيّن فإنَّ من يتخذه يستطيع أن يميّز ويختار عن وعيٍ ما يجب أن يقدم عليه، وما يجب أن يحجم عنه وينتهي، وفي المقابل من يستطيع أن يتخذ قرار التحكّم في زمام الإرادة، ولا يفرق بين ما يجب وما لا يجب، قد يقع في فخاخ الجريمة والتطرُّف، وهنا تكمن العلَّة.

وعليه:

فمن يستطيع أن يجعل إرادته بين يديه تصرُّفًا يصبح مخيفًا لنفسه ولغيره، فهو مخيفٌ لنفسه: من حيث إنَّ امتلاك إرادته الحرّة قد يجعلها مغترّة، وأمَّا لغيره: من حيث إنَّه إذا اتخذ قرارًا أقبل على تنفيذه ولو كانت مواجهة مع رؤوس القمم السُّلطانيَّة، وهذه لا شكّ ستضعه في قوائم المتطرّفين.

ومع أنّ للإرادة علاقة بالطبيعة، التي خُلق الإنسان عليها، فإنّها تظل في حاجة للتّدعيم بما يمكّن من امتلاك القوّة، التي لا تجعل الإنسان يضعف

ويحيد بالإرادة الضعيفة عمّا لا يجب الحياد عنه كما حصل مع أبينا آدم عليه السّلام عندما أغواه الشيطان فعصى ربّه عن إرادة وليس عن إكراه شيطاني؛ ولهذا فإنّ الإنسان الذي خُلق مسيّرًا في أحسن تقويم، اختار الانحدار إرادة من قمّة الخلق (في أحسن تقويم) إلى ما قلل من شأنه بأسباب الغفلة، وضعف الإرادة حتى أصبح أقل شأنًا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليَّة أخلاقيَّة أخذت الصّحوة والحيرة تملأن نفسه ندمًا؛ فاستغفر لذنبه عن إرادة؛ فتاب الله عليه.

فآدم الذي خُلق على الفطرة، خُلق معتدلًا في أحسن تقويم، ولكن عندما حاد آدم عن الفطرة إرادة، وجد نفسه منحدرًا بأسباب مخالفته قواعد البقاء الدّائم ارتقاءً، الذي من بعده أصبح الهبوط أمرًا واقعًا حيث لا مكان للتخيير؛ فالتخيير فرصة تمنح من أجل حُسن الاختيار عن إرادة، ولكن من يعمل على إضاعة الفرص ارتقاءً، فالفرص ارتقاء قد لا تتكرر، وفي المقابل فرص الانحدار تتعدّد وتتنوّع وتتضاعف بكتيريًّا. ومن هنا؛ فالإنسان الذي خُلق على التسيير والتخيير، كان مسيّرًا وفقًا للطبيعة الخَلقيّة، وفي المقابل كان للتخيير فسحة الإرادة، التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشّجرة المنهي الأكل منها.

وعليه: فالإرادة المطلقة بيد الخالق يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد، وهو على كلّ شيء قدير، أمّا الإرادة على المستوى البشري فهي لا تخرج عن دائرة الممكن؛ ولهذا كان الوجود عن قوّة وإرادة فعّالة، ممّا جعل مشيئة

الوجود بيد الموجد بالقوّة، والقوّة الفعّالة يمكن أن تكون مطلقة، ويمكن أن تكون نسبية ممكنة؛ فالخالق يخلق بالقوّة المطلقة، والصّانع يصنع بالقوّة النسبيّة، ومن هنا؛ فالإنسان يمتلك القوّة التي تستوجب حُسن تصرّف عن إرادةٍ، فإن كان التصرّف عن إرادة حرّة، كان الإنسان مسؤولا عن تصرفاته سلبًا وإيجابًا، ومن ثمّ؛ فالتسيير مطلقًا بالقوّة، والتخيير نسبيًّا بالإرادة حيث لا إكراه، ووفقًا للمقدرة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

وحتّى الدّين مصدر الفضائل والقيم، لا إكراه فيه، فكلّ شيء بين النَّاس عن إرادة، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ، وترك النَّاس أحرارًا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فيجب الإصلاح، الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم (جهلًا أو تعلمًا)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ إرادة وارتقاءً.

ولأنّ الأخلاق ارتقاءً هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها إرادة لا شكّ أنَّه يجعل الإنسان على المحبّة بدلًا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}21. أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}22؛ لذلك كان محمَّدٌ

[21] يونس 99.

[22] يونس 99.

داعيًا إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق ارتقاء؛ فالأخلاق تُعدّ قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السُّلوك إرادة يصبح سلوكها قمّة، ومن أراد أن يكون قمّة فعليه بالأخلاق الحميدة ارتقاء وإرادة، ومن لا يمتلك خلقًا لا نقول له: تطرَّف، بل وجب البحث في شؤونه فكريًّا.

ولو عدنا لزمن الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام لوجدنا أنَّه لا وجود للأنظمة الحاكمة، التي أصبحت تعمل على تقييد الإرادة ما استطاعت، فالأمر في تلك الأزمنة كان بين السّماء والأرض؛ إنباء ورسالات (أنبياء ورُسُل)، أمّا ما بعد الرّسالات والرّسُل؛ فأصبح الأمر بين النَّاس شورى، وفقًا للإرادة والرَّغبة والمقدرة والحاجة المتطوّرة: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[23]، والشورى هنا لم تكن خاصّة بالمسلمين، بل هي الحلّ، فمن شاء الحلّ؛ فعليه بها ديمقراطية بلا مكاره: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[24].

وعليه: هناك علاقة واضحة بين الإرادة والاختيار، فالاختيار لا يكون إلّا وفق الرَّغبة والمعرفة وبعد تبيّن، أمّا الإرادة فلا تكون إلّا بامتلاك الحريَّة حيث لا قيود ولا مظالم.

---

[23] الشورى 38.

[24] يونس 99.

ولهذا؛ فالاختيار إن أُحسن تدبّرًا وعن إرادة ومقدرة أَحدث النُّقلة إلى ما هو أكثر ارتقاء، وإن لم يُحسن الاختيار؛ فسيؤدّي بأصحابه إلى السُّفليَّة والانحدار والدّونية، ممّا يجعل السُّلوك الانحرافي في حاجة للتقويم؛ حتى لا يسود التطرُّف، وتسود المفاسد والمظالم (هيمنة وحرمانًا).

ولذا؛ فإن كانت الإرادة حرّة، فتحت كلّ السُّبل أمام الإنسان في دائرة الممكن سلبًا أو إيجابًا، وفي المقابل إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة فلا يجد العمل سبيلًا للإنجاز، ولا يجد الإنسان سبيلًا للتقدّم تجاه المأمول.

ولأنّ الإرادة الإنسانيَّة لا تكون إلّا عن دراية مع حُسن تدبّر ومقدرة على التمييز والاختيار؛ فهي المحرّك والمحفّز الأساسي لبناء الإنسان، والنّظر إليه قيمة رفيعة، ومن ثمّ؛ فينبغي أن يمكّن الإنسان ممّا يمكّنه من التقدّم والارتقاء وإحداث النُّقلة إلى ما هو مأمول علمًا ومعرفة وتقنية، إلى جانب ترسيخ قيم الاحترام والتقدير والاعتبار والتسامح والتعاون.

ولأنَّ الإرادة مركزها ذهن العاقل، فهي ميسّرة السّبيل أمامه لأنْ يعمل بفاعليّة، ومن ثمّ ليس له إلّا أن يرتقي إن أحسن اختياره وتدبّره، ولكن إن لم يحسن اختياره وتدبّره؛ فلا سبيل له إلّا الانحدار، الذي من بعده يكون النّدم والألم، وهما: إن أَلما بالإنسان جعلاه في حاجة لمنقذ.

فالإرادة إن كبحت بأيّ علّة، ستعود إلى الذّهن لتقييم المواقف، ومن ثمّ تقويم الحالة وتوجيه السُّلوك البشري إلى اتخاذ ردّات فعل تكون حساباتها

في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع، فعلى سبيل المثال: الإنسان عندما يعطش سيتوجّه إلى مصادر المياه؛ ليروي ظمأه رغبة، وإرادة، وضرورة مُلِحَّة، وهذا هو الأمر الطبيعي، الذي يتوافق مع الفطرة، ولكن إن مُنع من ذلك؛ فليس له إلّا قبول دفع الثّمن حتى النّهاية استجابة أو اقتتالا، وهكذا إن جاع فليس له إلّا التوجّه إلى مصادر إشباع الحاجة (حياة أو موتًا)؛ ولذلك فعندما تتطابق الفطرة مع الإرادة تصبح الغرائز أكثر ضغطًا على أصحابها، ولا إمكانية للتخلّص منها إلّا إشباعًا، أو القبول بدفع الثّمن تطرُّفًا.

ومن ثمّ؛ فالتوجّه للبحث عن مصادر بقاء الحياة تقليدًا يتوافق مع الفطرة، أمّا المقاتلة من أجل الحياة تقليدا فلا يتوافق معها، ولهذا؛ فالكائن العاقل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع يتذكّر ويتدبّر ويفكّر بما يتطابق مع فطرته دون أن يقصر ذلك عليها؛ ممّا يدعوه أحيانا إلى ما هو ممكن تقليدا، أمّا بقيّة الكائنات فلا تُدبِّر أمرها إلّا تقليدًا متماثلًا مع الفطرة؛ ولذلك فهي كمن يراوح في مكانه بلا أمل، حيث لا مستقبل تدركه سوى الفطرة التي خُلقت عليها بلا تخيير.

وعليه: الإرادةُ امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، بها يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، ومن دونها يُقهر، وهي الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحريَّة، حيث لا إرغام من أحدٍ؛ ومن هنا، فهي منبع الأمل

للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيم والكرامة الإنسانيَّة.

والإرادة عندما تكون حرّيَّة تمارس تمكّن الأفراد والجماعات ممّا يشاؤون دون أن تكون مشيئاتهم على حساب حاجات الآخرين ومشبعاتها؛ ولهذا إن لم تُفسح المجالات أمام الإنسان اختيارًا تظل الإرادة مجرّد مفهوم ليس إلّا، فأهميَّة الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال؛ حتى يتمكّن النَّاس من بلوغ ما يأملون عملًا وسلوكًا، ومن ثمّ؛ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمَّا التمكين منها فمسؤوليَّة من يتولّى مسؤوليَّة سواء أكانت أسرية أم اجتماعيَّة أم وطنيَّة أم إنسانيَّة.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، والإرادة وثيقة الصّلة بالوعي بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

ولأنَّ الإرادة تمكينًا هي منبع أمل؛ فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقَّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل دون توافر الإرادة فقد لا يحقّق للفعل إنجازًا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازه إكراهًا فلن يكون مثالًا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام حتى وإن كان تطرُّفًا، ولهذا؛ فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحيّة واستثناء إفسادي، والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون والمتطرّفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان، ولا يحيدون عنه، وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنّ الشّعب (كلّ الشّعب) لا يوجد فيه أحد مؤهّل لممارسة الحريَّة، ومن هنا تفتح مداخل الأفعال المتطرّفة ومخارجها.

ولذلك؛ في مقابل هذه القواعد المنظّمة لممارسة الحريَّة تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا (الشخصانيَّة)، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه على قمّة سلّم السّلطان مهيمنا على كلّ أمر سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردًا، حتى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيًا سلامة الوطن، والأمن العام، وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصَّب نفسه واعظًا ومرشدًا بما أنّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلّا مطاردًا حتى النّهاية.

ولهذا؛ فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التأزّمات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السّلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبًا مع توافر الرَّغبة، ولهذا؛ يفقد من هو على قمّة سلم السّلطان مكانته، ويفقد الشّرطي سلاحه، والواعظ حُجَّته التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحيّة مستبدلًا بلا ثمن.

وعليه: فإنَّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إيجابًا بها يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار، عندما يكون عن إرادة عملا يرجو الإصلاح أملا وارتقاء.

وبعض من النَّاس يتصوّر أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها تجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

الإرادة قوّة:

الإرادة قوّة: من يمتلكها يمتلك زمام أمره، فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين؛ لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار ودون تردّد؛ ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي، وتنفيذه بكلّ وعي، وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلّا بقدرة، وقرار، وتنفيذ، ومسؤوليّة، وتهيؤ نفسي، أمَّا الإرادات المسخّرة فهي ليست حرّة.

ولهذا قوّة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحريَّة.

وعليه: فالقاعدة هي:

. قوّة الإرادة.

. اتخاذ القرار.

. تنفيذ القرار.

. حمْل المسؤوليَّة.

. تنمية القدرة.

. التهيّؤ النَّفسي.

. قبول التحدّي عدلًا.

. التمسّك بصُنع المستقبل المأمول.

. لا يأس ولا قنوط.

والاستثناء:

. ضعف الإرادة.

. عدم المقدرة على اتخاذ القرار.

. عدم المقدرة على تنفيذ القرار.

. التخلي عن حمْل المسؤوليَّة.

. عدم تنمية القدرة.

. عدم التهيّؤ النَّفسي.

. الأخذ بالأمر الواقع والاستسلام إليه.

. الخوف من المستقبل ولا عمل من أجله.

. اليأس والقنوط يسيطران على النَّفس.

الإرادة قوّة مناعة:

ولأنّ الإرادة عزيمة، وفيها من الصّبر ما فيها، وفيها من التحدّي ما فيها، ولا مكان فيها للقنوط واليأس؛ فهي قوّة يجب أن تستثمر علمًا ومعرفة ومقدرة، ومتى ما بلغ الإنسان هذه القوّة فلا خوف عليه؛ ولهذا لا تجعل الخوف قيدًا عليك، بل اجعله من أجل صُنع المستقبل قيدًا بين يديك تضعه في أيدي كلّ ما من شأنه أن يشكل عليك خطرًا.

وعليه:

فالمناعة immunity سياجٌ دفاعيٌ يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، والاستسلام لِما لا يجب؛ ولهذا على الأخصائيين الاجتماعيين والنَّفسيين والمتخصصين في علوم الاقتصاد والتنمية البشريّة أن يعملوا جميعًا من أجل ما يقوي الإرادة؛ لتكون للشّعوب إرادة صلبة عليها يتكسر الضّعف والوهن والجبن واليأس، وعليهم أن يستثمروا قوّة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصيَّة الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرّقي الذوقي والأخلاقي؛ حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى ما هو سالب،

ويؤدّي إلى التطرُّف، ومن هنا توظف قوّة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصّائبة، التي تُمكّن الأفراد من إحداث النُّقلة إلى مستويات الطموح المتطوِّرة عبر الزّمن.

القرار قوّة إرادة:

بطبيعة الحال من يمتلك اتخاذ القرار يمتلك الإرادة الممكّنة من اتخاذه، ومع أنّ القرار يتّخذ، ولكن اتخاذه لم يكن الغاية، بل الغاية الإقدام على تنفيذه، وتحمّل ما يترتّب على تنفيذه من دفع ثمن شريطة ألا يقدِّم الإنسان نفسه إلى التَّهلكة.

وتكمن قوّة القرار في اتخاذه بمسؤوليَّة، وفي درجة الوعي والإلمام به، وبالمعطيات التي تستوجب إقراره؛ ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجردة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافذًا وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ومن هنا؛ فلا تتحقّق المنجزات ولا تحدث إلا بقرار، أي: لا تنجز المهام والأعمال إلّا به، والقرار في دائرة الممكن المتوقَّع هو الوعي بما يجب. أمّا في دائرة الممكن غير المتوقَّع فهو عدم الوعي بما يجب.

ومع أنَّ كلّ شيء بقرار ولا شيء من دونه، فإنّ القرار لا يخرج عن كونه في دائرة الممكن (متوقّع أو غير متوقّع)، وبما أنّنا نعرف أنّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن. إذن: لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يساوي: (كلّ شيء ممكن)، وبما أنّه لا مستحيل في دائرة الممكن، إذن: علينا بقبول تحدّى الصّعاب دون خوف ودون تراجع، ومن لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبل رفيع، ومن لا يُسرع قوّة وتدبّرا لتحدّي الصّعاب لن يجد له مكانا ليضع قدميه عليه أمام الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرّصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويًّا وكان تنفيذه قويًّا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُّقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة القرار بقوّة اتخاذه.

ولذا فقوّة القرار تكمن في الآتي:

- ما يحقّقه وما يترتّب على إنجازه.
- قوّة الالتزام بتنفيذه.
- استيعابه كلّ من يتعلق الأمر بهم أفرادًا أو جماعات أو مجتمعات.
- استيعابه للمتغيّرات ذات العلاقة بالموضوع.
- تجاوز محققاته لِما كان متوقّعا.
- إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكلّ من لا يتوقّعه.

أمّا قوّة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوّة القرار ذاته.

. قوّة المعايير والقواعد والأُسّس والمبادئ.

. قوّة التنفيذ.

. قوّة الهدف.

. قوّة الخطة.

. قوّة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السّلبيات.

. الاقتناع وعدم التردّد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه؛ فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها، ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسؤولًا عما فعل بإرادته، سواء أكانت مسؤولة أم غير مسؤولة، وعلينا أن نميّز بين المسؤولة وغير المسؤولة.

– فالإرادة غير المسؤولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

– والإرادة المسؤولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا؛ فلا إرادة دون موضوع واضح؛ ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيّؤ واستعداد وتأهّب.

فالإرادة مسؤولية، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}25، ولنا أن نقول: إنّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسؤوليَّة التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط؛ لأنّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدّسه، ومن ثمّ؛ فالإرادة تجعل الإنسان مسؤولًا؛ لأنَّه لا بدَّ أن يكون على وعي بما يُقدِمُ على فعله26.

امتلاك الإرادة ارتقاءً:

خَلق الله الإنسان في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنّة) حيث لا إنس من قبله؛ ولأنَّه كذلك، جعل الله أبانا آدم عليه الصَّلاة والسَّلام على الارتقاء نبيًّا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، فإنَّه بمخالفة

---

[25] الأحزاب 72.

[26] عقيل حسين عقيل، منطق الحوار ص 173.

أمر الخالق أهبط به والأرض ومن كان سببًا في إغوائه ومعصيته، وكذلك من قَبِلَ الإغواء معه معصية، وهنا تكمن القوَّة التي دعت آدم ندمًا واستغفارًا وتوبةً، ولكنّ قرار الهبوط نافذٌ: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[27].

ومع أنَّ آدم تاب لربّه، فإنَّ توبته لم تَحُلْ بينه وبين الهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا، بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاءً؛ فآدم عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيًّا، لِيُنبئ من بُعث إليهم نبيًّا: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[28]، ومن هنا، يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنّة ارتقاءً؛ تلك الجنّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيما على الأرض المغبرّة التي أهبط بها أرضا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له إلّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيًّا، وعلّمه ما لم يكن يعلم؛ فأدرك آدم أنّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عن رغبة وقوَّة مع قبول تحدّي الصّعاب.

ولذلك فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكّن من إحداث النُّقلة، وتحقيق الارتقاء رفعة؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه؛ فهما

---

[27] الأعراف 24.

[28] طه 122.

ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفليَّة)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجّةً وموعظةً وعبرةً؛ فبدأ العمل ارتقاءً من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبوه، الذي شهد ذلك النّعيم؛ فأخذ بالنبأ قوّة وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخذت الشّهوة أخاه ضعفًا وسُفليّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبّة: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[29].

وعليه:

فالارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة؛ ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليّة، وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة عيشًا رغدًا.

ومن هنا، وجب العمل المحقّق للعيش النّعيم، الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النَّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاءً، فتمكن من الأخذ بأسباب القوّة.

فآدم خُلق في الجنّة، وشهد على نعيمها، وفيها تمتّعَ، ثم حُرم منها وأهبط به والأرض دُنوّا، ولكنّه لم ينس ذلك العيش الرَّغْدِ، والوفرة التي لا تُحصى، والتنوّع المتّسع جمالا، وبخاصّة بعد أن أصبح على الأرض التي لم

[29] المائدة 28 . 30.

تأخذ أيّ صفة من صفات الجنّة سوى الماء الذي يبقي على الحياة، ولا يُبقي على النّعيم؛ فأصبحت الحاجة تملأ نفس آدم وزوجه بعد أن حُرما من مشبعاتها المنقوصة في الحياة الدّنيا.

إنّ الحياة الدُّنيا، إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا؛ فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر؛ فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارا من البعض، في مقابل ارتقاء البعض رفعةً؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه؛ ولذلك فقد سعى استغفارا وتوبة أهلته لأن يكون نبيًّا ينبئ بما عُلّم من قِبل خالقه، ومن ثمّ؛ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاءً إلّا بالعمل، وبكلّ قوّة ورفعة.

ومن أجل ذلك، وجب العمل الممكّن من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنّ الارتقاء الممكّن من السّعادة لا يمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ، وهو: إحداث النُّقلة، وغرض عام، وهو: تحفيز الآخرين ودفعهم تجاهها، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية.

امتلاك الإرادة وعيًا:

الوعي نشاط ذهني فكري للعقل يدلّ على وجود علاقة بين الأنا والموضوع، وبه يتمكَّن الإنسان من المعرفة والدّراية التّامة، كما أنّه يُمكِّن من التمييز والمقارنة وحُسن الاختيار بين الأفعال الموجبة والأخرى السّالبة، ومن لم يُميِّز بين هذا وذاك لا يظنّ أنَّ الآخرين لا يميّزون، وعندما يبلغون التمييز الحقّ لن يتأخروا عن الإقدام على الإصلاح، وقبول دفع الثّمن، الذي لا يُخيفهم في شيء يقبلونه بإرادة، حتَّى ولو كان ثمنه فقدان حياة.

امتلاك الإرادة يُمكِّن من الإدراك:

الإدراك غاية الشّيء والإحاطة به هو كما هو، فمن بلغ الشّيء أدركه معرفةً وحسًّا، ومن بلغ ذلك وجب عليه حُسن التصرُّف فيما أدرك، ولا ينسى أنَّ غيره إن أدرك أنَّه أدرك، ولم يتدارك الأمر إعمارًا وإصلاحًا، أو تربيةً وإرشادًا، وحفظًا من الفساد والإفساد، سيجد نفسه بدايةً ملومًا، ووسطًا مهملًا، وفي النهاية يُحكم عليه بأنّه منحرف، يستوجب التقويم بكلّ الوسائل إلى أن يشهد الحقّ أو أن يكون الحقّ شاهدا عليه.

ولهذا فمن يقبل التقييم لفكره وحاله وظرفه يتمكَّن من فهم الحقيقة وتفهَّم ما يحيط به من ملابسات وتأزّمات، وكذلك يتمكَّن من التقويم، الذي به يتمّ التصحيح، وتغيير الأحوال إلى ما هو أفيد وأنفع للجميع دون استثناء لأحدٍ على حساب آخر.

فالتقييم مراجعةٌ دقيقةٌ للحالة والمعطيات، التي قد تكون مناسبة لزمنٍ، وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمنٍ آخر، ومن يتّقِ الحقّ يتمكّن من معرفة الحلّ، ويمكنه الإقدام عليه إرادة، ومن يقبل أن يُقيِّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم.

وعليه:

الإرادة على المستوى الإنساني ذات علاقة بمراد (مطلبٍ، أو هدفٍ، أو غايةٍ، أو مأمولٍ)، وهي لا تكون إلّا في دائرة الممكن، أمّا إرادة المطلق جلّ جلاله؛ فلا حدود لها؛ كونه خالقها، وهو المهيمن، وأمره لا يكون إلّا نافذًا.

ولأنّ الإرادة على المستوى البشري هي قيد البحث؛ فلا شيء يكون مرضيًا إلّا من خلالها، وبالتالي أيّ تجاوزٍ لها يُعَدُّ عائقًا أمام نفوذها؛ ولأنَّها كذلك فلا تهيؤ من دونها، ولا استعداد من دونها، ولا تأهّب من دونها، ولا تطرّف من دونها. أي: لا إمكانيّة لممارسة الحريَّة من دونها. إذن: الإرادة يمكن أن تكون:

. إرادة مطلقة، وهذه إرادة الله تعالى: {اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}[30]، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[31].

[30] البقرة 253.

[31] البقرة 117.

. إرادة اتباع، وهي المأمور بها من عند الله؛ لتكون في مرضاته طاعة، والقيام بها قياما بفرائض: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[32].

. إرادة اختيار، وبها الإنسان قد تميّز وتدبَّر وتفكّر وتذكّر: {مِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}[33]، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[34].

. إرادة دستورية وقانونية، تعطي صلاحيات واختصاصات مقيدة لمن يتولى منصبًا مسؤولًا في إدارة دولة، أو شركة، أو مؤسّسة وما يشابهها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[35]. هذه الآية الكريمة تستوجب ألا يغفل الإنسان الإرادة عن طاعات ثلاث:

. طاعة الله.

. طاعة الرّسول.

. طاعة أولي الأمر من النَّاس (منكم)، وهم الذين يتمّ اختيارهم إرادة تامّة؛ ليكونوا أولي أمر، فتكون طاعتهم هي طاعة الأمر الذي أقرّه النَّاس، ثمّ انتخبوا أو اختاروا له من يتولى إدارته، فتكون طاعته مرتبطة بالتزامه

---

[32] الحشر 7.

[33] آل عمران 152.

[34] هود 118، 119.

[35] النساء 59.

بالأمر الذي هو من عند النَّاس، أي: من الأمر الذي كلفوه به ووكلوه إليه، ليكون مسؤولا؛ ولهذا فلن تكون له طاعة إذا خرج عن الأمر الذي هو من عند النَّاس.

وهنا وجب التمييز بين أولي الأمر وهم الوالدين، أو من يتولى الأمر بعدهما من الإخوة، وأولي الأمر منك، وهم الذين يتمّ انتخابهم بإرادة.

وعليه:

. قوِّ إرادتك.

. امتلك إرادتك؛ لتتمكّن من الإقدام.

. امتلك إرادتك؛ تزدد قوّة.

. امتلك إرادتك؛ تتمكّن من الاستيعاب.

. حفّز على ممارسة الحريَّة؛ حتى يتمّ التمسّك بالإرادة.

. استثمر الإمكانات المتاحة عن إرادة؛ حتى يقوى رأس المال الاجتماعي.

. استثمر الطّاقات البشرية عن إرادة تمتلك قلوب النَّاس.

ولأنَّ الفرد قوّة، والجماعة أقوى، والمجتمع أكثر قوّة؛ لذا فمن يريد أن يكون قويًّا فعليه:

1 . أن يقوّي الإرادة.

2 ـ أن يصمّم عن وعي على ما يجب بلا تردّد.

3 ـ أن يبادر إرادة وتهيؤا واستعدادًا وتأهّبا للإقدام على إنجاز الفعل.

4 ـ أن يخطط علميًّا؛ فالتخطيط العلمي يبعد عن العشوائية.

5 ـ أن يتحدّى الصّعاب؛ فتحديها يرسّخ قيمة الإرادة.

6 ـ أن ينتزع الخوف من نفسه؛ فانتزاعه يحرّر الإرادة.

7 ـ أن يتفاعل مع الجماعة على كلّ موجب؛ حتى تترسّخ الإرادة.

8 ـ الإرادة تمكّن من المشاركة متى ما تهيأ واستعدّ وتأهّب النَّاس إليها.

9 ـ التطلّع مع المتطلعين لكلّ مفيد نافع يفتح آفاق التقدّم أمام الارتقاء الإرادي.

امتلاك الإرادة تهيّؤ فعَّال:

التهيؤ الفعَّال هو ذلك التهيؤ البناء، الذي لا يكون من خلفه إلَّا موجبًا؛ ولذلك فالتهيّؤ التفات حيوي يجعل الإنسان في حالة يقظة، وصحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غايةً أو أملًا، واليقظة هي انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل حتى وإن كان تطرُّفًا.

ولأنّ التهيّؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النَّفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفًا، وتحقيق ما كان غرضًا، وبلوغ ما كان غاية، والفوز بما هو مأمول في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولكن كلّ هذا لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ، واستعدادٍ يُهيأ، وتأهّبٍ يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب من وجهة نظر المتهيئ، مع أنَّ ما يجب من وجهة نظر المتهيئ قد لا يكون هو ما يجب قيمًا وفضائل، كأن يتهيأ الإنسان إلى ارتكاب فعل تطرُّفٍ في غير مرضاة الله.

وعليه:

. هيئ نفسك لما يجب؛ حتى لا تقودك الشهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

. التفت إلى نفسك، واعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

. فكّر؛ حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

. فكّر فيما تفكّر فيه؛ حتى تتبيّن.

. هيئ نفسك للعمل؛ فهو المنقذ من الحاجة.

. هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

. هيئ نفسك لغير المتوقَّع، تجد المتوقَّع بين يديك ميسّرًا.

ومن هنا؛ فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه، ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلة متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئًا مفعولًا، ولو لم يكن الشيء متهيئًا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا عليها بالتمام، وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن الذي سيفعله وعقله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النَّاس لا بدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة، مع وافر الاستعداد، ثمّ التأهّب؛ لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع، فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النَّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتهبين؛ ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلًا من ميلها انحيازًا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائمًا يسبق إعداد العُدّة والفعل والسُّلوك والعمل؛ لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها هيئة في أذهان المبدعين لها وعقولهم؛ ولهذا لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئًا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة، فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليلا شاهدا بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه، من حيث كونه صلبًا ومتينًا وحادًّا من أحد الطّرفين، أو حادّا من طرفيه، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى، أو سلوكٍ يمارس، أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول؛ ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّؤه؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعالا متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنفّذة ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل، أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة؛ حيث لا شكل ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي، الذي يمسّ النَّفس الإنسانيَّة، فإنَّ أثره لا يكون سائدًا

في النَّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا ماديًّا، أي: إعدادًا لِما يُظهِره، وليس إعدادًا لإظهاره؛ ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبًا واستعدادًا.

إذن: يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليَّة، التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيظل سائدًا بين قويٍّ وضعيفٍ إلى أن يمتلك من كان ضعيفًا القوّة المرهبة، للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّةً وعتادًا واستعدادًا واستيعابًا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادرًا على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا: كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ القوّة العقليَّة وتهيُّئها ولفتها للمخاطر؛ بهدف تجنّبها، وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولِّدة للقوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرُ ميسَّر قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا كان هناك أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف

هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل؛ ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابلة لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تولد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ كونه إيقاظًا عقليًّا؛ فهو يسبق القول والفعل والسُّلوك والعمل، الذي من دونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل، ولا تُقدَّر إلّا به، ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظًا هو المحدِث للفعل، والمحقِّق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين، وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم، فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق، فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولم لا يتهيأ الجميع للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض أنّ هذا القول لا يزيد على كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع أنَّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنّ التهيّؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهميَّة خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة وفضائل

خيّرة تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه؛ وذلك بهدف غرس الثِّقة المتبادلة، وبغاية تغيير الحاضر تجويدًا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

حقّ المشاركة:

وهي: (الإقرار بأنَّ تعزيز التعاون المهني والمشاركة الفعَّالة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته، يُمكّن من إظهار الأفكار والمهارات بتوازن، ويخلق شخصيّة اجتماعيَّة متفاعلة وواعية بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومسؤوليات، ويحقق رضاءً اجتماعيًّا).

فالمشاركة قيمة ذات مفهوم استيعابي في دائرة الممكن، وفي مفهومها هذا تعد منقوصة الحيويّة؛ ولهذا فهي في حاجة للتّفعيل؛ لكي تصبح مبدأ عمليًّا قابلًا للممارسة، أي: إذا لم تُفعّل لن تكون لها قيمة إلّا نظريًّا، بمعنى: لا تزيد عن كونها مفهومًا ليس إلّا.

ومن ثمّ فالمشاركة باب مفتوح على من له الحقّ وفقا لقوانينها المنظمة، أي: وفقًا لرؤى المشاركين أو المنظّرين لها من أصحاب الفكر والفلسفة والمنطق. أمّا تفعيلها يعني: إدخالها ميادين العمل والتجربة وفي أيّ مجال (سلطة أو ثروة، أو ملكيّة، أو علاقات اجتماعيَّة)؛ ولهذا فتفعيل المشاركة يمكّن من الممارسة الفعلية للسيادة وأساليب الأخذ بها سواء أكانت

المشاركة في اتخاذ القرار أم تنفيذه أم متابعته، ويحفّز المشاركين (الأنا والآخر) على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده .كما أنّه يُحرّض على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام ويرسّخ المكانة، وبخاصّة عندما تكون المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدم المشتركون عليه من عمل بنجاح، وهذا الأمر يتطلّب استثارة القوّة الذّاتية للمشاركين بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبًا لإشباع احتياجاتهم .

المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم:

وبما أنَّ المشاركة حقّ لمن يتعلّق الأمر به مسلمة منطقية؛ إذن منطقيًّا حقّ المشاركة مبدأ لا ينبغي لنا إغفاله؛ ولأنّ أساس الوجود الاثنان (الذّكر والأنثى) مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[36]، إذن: المشاركة أساس الوجود، ولأنّ الوجود متنوّع؛ فالتنوّع لا يكون إلّا مشاركة، ولذا وجب تفعيل المشاركة بما يناسب الحاجات المشتركة والمتطوّرة عبر التَّاريخ.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه؛ إذن فالمشاركة حقّ، ولأنّها حقّ، فلا ينبغي التنازل عنها أو الحرمان منها.

وعليه:

[36] الذاريات 49.

. لا تتنازل عن حقّك، وشارك الآخرين الذين لهم علاقة بأمرك.

. طالب بحقّك، واعمل على إعادته إذا أُخذ منك عنوة.

. اقبل أو ارفض من أجله.

. تفاعل من أجل حقّك.

. نافس من أجله.

. تعلّم فالتعليم حقّ.

. اعمل فالعمل حقّ.

. انسحب إذا عرفت أنّ ما أقدمت على المشاركة فيه ليس من حقّك، أو أنّه سيؤدّي بك إلى الخسارة أو الهلاك.

. تطلّع فالتطلّع حقّ.

ولأنّ المشاركة تؤدّي إلى القوّة (الموحّدة)، والانفراد يؤدّي إلى الضعف أو القوّة (المنفردة)، إذن: فتفعيل المشاركة ضرورة.

ولذا؛ شارك الآخرين إذا أردت أن تزداد قوّة؛ أمّا إذا رغبت الضّعف، فلن تجد لك مكانًا إلّا منفردًا.

وإذا تساءل البعض:

ما معنى أنَّ الشركاء أولى بتقرير مصيرهم؟

أقول:

- ألّا ينوب عنهم أحد وهم قادرون على ممارسة ما يتعلّق بهم من أمر.

- أنّهم يمتلكون زمام أمرهم وهم أدرى به من غيرهم.

- أنّهم وحدهم أولى بتحمّل مسؤوليَّاتهم وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنَّ تفعيل المشاركة ضرورة، إذن: فالأخذ به واجب.

ولأنَّ الإنسان قوّة في خَلقه، ويراد له أن يكون قوّة، إذن: ليس له بدّ إلّا تفعيل المشاركة فيما من شأنه أن يسهم في إحداث النُّقلة الحضارية والثَّقافيَّة علمًا وعمرانًا وأدبًا وفنًا.

ومن هنا فالمشاركة إساهم أو تحاصص في الانتماء أو الملكية أو الأدوار أو الموقف الذي يتطلّب اتخاذًا عن إرادة، ويترتّب على المشاركة حقوق ينبغي لها أن تمارس، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء.

والمساهم هو من يشترك فيما يُسَاهَم فيه، ليكون قابلًا لكلّ مترتّب على إسهامه سواء أكان المترتّب ربحًا أم خسارةً؛ ولهذا المساهم وإن توقَّع أو استهدف وأمل ربحًا في أثناء مساهمته في الشيء القابل للمساهمة فيه فإنَّه في دائرة الممكن لا ينبغي أنْ يُغيِّب عن عقله احتمالية التّعرّض للمتوقّع ربحًا ولغير المتوقّع خسارةً.

وعليه فالقبول بالمشاركة يستوجب القبول بالأمرين (الرّبح والخسارة) حتَّى وإن كان أحدهما لا يؤمل في دائرة الممكن المتوقّع ؛ ولهذا في مُعظم الأحيان تظهر الخسارة من دائرة الممكن غير المتوقّع، ممّا يجعل المحلّلين والمشخِّصين والمفسِّرين للأحوال والقضايا والمشاكل والمواضيع والمواقف غير مستغربين؛ وذلك لمعرفتهم أنَّ كلّ شيء في دائرة النسبيّة ممكن، وخير مثال على ذلك: قصّة النبي يونس عليه الصّلاة والسّلام الذي لم يكن مستغربًا في مساهمته، ممّا جعله يقبل المساهمة دون تردّد وهو راضٍ بما سينتج أو يترتّب على مساهمته، قال تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}[37]، أي: كما قَبِلَ يونس بالمساهمة من قَبل كذلك كان قابلًا أن يكون من المدحضين، فدُحِضَ إلى مياه البحر وأعماقه لولا أن التقمه الحوت قبل أن يسقط في أعماق البحار مع المدحوضين المغرقين، قال تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[38].

ولأنَّ يونس عليه السّلام كان قابلًا وراضيًا بما وصلت إليه نتيجة المساهمة التي كان فيها من المساهمين فلا داع لأن يُسقط من قِبل الآخرين، بل عليه أن يقفز بنفسه من الفلك المشحون إلى المياه المتلاطمة الثائرة

[37] الصافات 141.

[38] الصافات 142 . 144.

بالأمواج؛ ولهذا عندما همَّ يونس ليقفز كان الحوت على السّرعة المتزامنة للقمه قبل أن يقع في المياه في أعماق البحر.

إذن: المساهمة لا تكون إلّا عن إرادة حرّة ممّا يجعل المترتّب عليها لا يُرفض من قبل المساهمين أي: كلّ المترتّب على المساهمة يستوجب القبول مع كلّ الرّضا.

والمساهمة قد تكون بالنَّفس والمال، وقد تكون بأحدهما وقد تكون بما يُمتلك عينيًّا، وفي كلّ الحالات هناك مترتّب منتظر في دائرة الممكن الموجب والسّالب؛ فإن تحقّق الموجب كان الرّضا متحقِّقًا، وإن تحقّق السَّالب كان النّدم واللوم على النَّفس التي قبلت بالمساهمة؛ ومع ذلك لا بدَّ أن يكون القبول هو السّائد بين المساهمين، وعليهم بالعمل الذي من شأنه أن يُصلح ما أفسدته المساهمة إن استطاعوا، وإن لم يستطيعوا فما عليهم إلّا القبول والامتثال للأمر الواقع.

والمساهِم إن ساهم مع الآخرين فيما يشاؤون ويشاء، يكون له نصيب معهم بمقدار المساهمة، وهذا النصيب يجعل له حقوقًا معهم، وله واجبات يجب ألّا يتأخّر عن تأديتها كلّما طُلبت منه؛ ولذلك يترتّب على المساهمة أمران:

. حقّ يؤخذ، ويطالب به.

. واجب يؤدّى، ويلتزم به أو يَلزَمُ عليه.

وهناك من يرى أنَّ المساهمة هي اقتراع فمن قَبِل بها قَبِل بإجراء القرعة أو المقارعة، ومع أنَّ الفرق كبير بين المفاهيم الثلاثة إلّا أنّها ذات علاقة من حيث المعنى الذي يؤكّد على ما تدلُّ عليه الكلمة، وهذا في كثير من الأحيان يتطابق مع المفهوم الذي هو وراء كلّ منها، ممّا جعل لكلّ مفهوم دلالة وخصوصيّة؛ ولذلك من حيث المفهوم نقول:

المساهمة: أنْ يشترك المشترك بجهده أو ماله أو جزء منه أو جزء ممّا يمتلك؛ لتكون له حصّة مع المتحاصّين بالمساهمة المتّفق عليها مسبقًا؛ ولهذا فالمساهمة لا تكون إلّا على الاستطاعة وحسب الرّغبة وبكلّ إرادة دون إي إجبار، وتكون نتيجة المساهمة مؤدّية إلى التسليم وقبول الأمر الواقع؛ وبذلك تكون المساهمة مادّية (النَّفس المال الملك) وفي هذا الأمر يكون حالها كحال الجهاد في سبيل الله بما تستطيع أن تجاهد ساهم جهادًا تنل خيرًا كثيرًا، وحالها كحال مساهمة يونس عليه السّلام، (فوزًا أو غرقًا)، ولكن حسابات علّام الغيوب تختلف؛ فيونس الذي قَبِلَ أن يكون من المدحضين في البحر، وكان حقيقة ماثلة أمام أبصار المشحونين في الفُلك أنَّ يونس مُلتقم في فم الحوت وظنوا أنَّه قد لبث في بطنه إلى يوم يبعثون، ولكن علّام الغيوب أنقذه من الغرق بما سخَّر له من حوت لينقذه ويلقيه إلى الشاطئ آية كبرى من آيات الله العظيمة.

ولهذا فالمقارعة في المفهوم الدّلالي تشير إلى وجود تحدٍّ بين المشتركين في المقارعة، ممّا يجعل للحُجَّة أهميَّة في الإثبات أو الدّحض والنفي؛ ولذا

يكون في مفهوم المقارعة ما يؤدّي إلى المغالبة، ولا يكون الحظّ بها مرتبطًا، ونتيجتها لا تؤدّي إلى التسليم بقدر ما تؤدّي إلى المواجهة، وقد تكون المقارعة كلاميّة (حُجَّة بحجَّة) وقد تكون (قوّة بقوّة) مع تعدّد الأساليب والوسائل الممكِّنة من المغالبة.

فالقرعة القبول بالمشاركة دون أن تكون هناك ضرورة لِما يُمكن أن يُدفع مُسبقًا أو يمكن أن يساهم به، كما هو حال الذين أجروا القرعة على من يكفل مريم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[39]، وكذلك كأن تُجرى القرعة بين البعض لأجل فرز من تُعطى له الفرصة لقضاء فريضة الحجّ، وهذه القرعة لا تستوجب جهدًا يُبذل في سبيلها، بل تتطلّب أن يتقدّم المتقدِّم كغيره من المتقدِّمين رغبة منهم لأداء فريضة الحجّ. وفي مُعظم الأحيان يرتبط الحظّ مع الذين تكون القرعة من صالحهم أو أنّهم فازوا بها فوزًا محظوظًا، ومع ذلك وإن ارتبط الحظّ مع القرعة فإنَّه لا يقتصر عليها؛ فكثير من الأعمال تكون نتائجها للصّابرين ولأصحاب الحظّ العظيم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[40]، ونتيجة لأنَّ الأعمال بالنيّات فإنّ الفوز بما هو عظيم لا يتحقّق إلّا مع الذين لهم صفاء النيّة وطاعة النَّفس مخافة من الله لا مخافة من غيره، ولهذا بشَّر الله الصَّابرين أصحاب النوايا الخيِّرة والأعمال الصَّادقة بأنَّ لهم

[39] آل عمران 44.

[40] فصلت 35.

من ربِّهم رحمة، قال تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[41].

ومع أنَّ للمشاركة والمساهمة تداعيات الوقوع في الخسارة مثل تداعيات الفوز والكسب وكلّ ما من شأنه أن يحقّق أرباحًا للمساهمين، فإنّ البعض إنْ تعرض إلى الخسارة أصبحت وجوههم عبوسة، وكأنّهم لم يعرفوا حسابات المساهمة (ربح وخسارة).

ولذا؛ فإنَّ تفعيل المشاركة مبدأ قيمي يحفّز على التعاون والتفاعل؛ والمشاركة قد تكون مشاركة خاصّة غير مورّثة، وقد تكون مشاركة ميراث، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أو كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}[42].

وهنا فالمشاركة في الميراث قد تكون على التساوي وقد لا تكون إذ لكلّ نصيب في الميراث المتروك بوصيّة أو بدونها، ولكلٍّ تفصيلاته، ولكن ما يهمّنا هنا أن نعرف أنَّ الحياة مؤسّسة على قاعدة المشاركة التي أساسها الخلق الزوجي؛ فالزوجيّة قاعدة التكاثر النوعي لجميع المخلوقات: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}43، وقوله تعالى: {وَمِنْ كلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

---

[41] البقرة 155 . 157.

[42] النساء 7.

[43] النبأ 8.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}44، فقوله (وَمِنْ كلّ شَيْءٍ) نزلت مطلقة إذ لا شيء خُلق إلّا والزوجية أساسه، ولأنّ كلّ شيء مؤسّس على الزوجية، إذن :كلّ شيء يشارك نوعه في الحياة تكاثرًا وعنايةً ورعايةً، ولكلّ نوع خواصّه التي بها يتكاثر ويشترك في الصّفات والأعمال والسّلوكيات.

ولأنّ الزوجيّة هي قاعدة تأسيس المشاركة بين الأنواع في الفطرة والمشاعر والعواطف والمودّة؛ فكانت المودّة على المستوى البشري قوّة ترابط ومشاركة بين بني الإنسان مصداقًا لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}45. ولأنَّ المودّة جاءت بينيّة (بين النَّاس)؛ فهي قيمة تشارك ورابطة أواصر بين الآباء والأبناء والأقارب وغيرهم ممن يقع في دائرة المعرفة المشتركة مودّة ورحمة؛ ولذا فالأرض هي فراش للجميع، ومُلك للجميع؛ فلا يحقّ لأحدٍ احتكارها أو العبث فيها وإفسادها، قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}46؛ فقوله (رِزْقًا لَكُمْ) أي: رزقًا مشتركًا للجميع؛ فمن عمل منكم صالحًا يجني ثماره خيرًا وافرًا، ومن عمل منكم منكرًا يجني ثماره ألما موجعًا.

---

[44] الذاريات 49.

[45] الروم 21.

[46] البقرة 22.

ولأنَّ الحياة مؤسّسة على المشاركة كانت المشاركة بين النَّاس سُنّة (سلمًا وحربًا)؛ ولهذا فالجهاد مشاركة بالنَّفس والمال والتخطيط والتدبّر وإعداد العدّة، قال تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}47. وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِّنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ}48.

وعليه: فالمشاركة وفقًا للاستطاعة قيمة حميدة بين النَّاس في سِلمهم وحربهم؛ فينبغي لها أن تُفعّل، وبخاصّة أنّ أمر المشاورة بين النَّاس جاء مشاركةً قال تعالى: {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}49. أي: شاركهم يا رسول الله في الأمر الذي يتعلّق بهم؛ لأنَّه حقّ لهم، فإن شاورتهم تمكّنوا من اتخاذ القرارات الصّائبة والصادقة، وإن لم تتمّ مشاركتهم؛ فلن تعرف حقيقة مواقفهم من الأمر الذي ينبغي أن يكون بينهم شورى، قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}50.

وعليه: فالنّاس مجعولون على المشاركة جعلًا؛ ولهذا وجب تفعيل المشاركة في كلّ زمن وعصر، وبخاصّة أنّ الدين قد كفلها للنَّاس كلّما اشترك النَّاس في أمرٍ سواء أكان أمرًا سياسيًّا أم اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا أم أيّ أمرٍ من الأمور التي لا ينبغي لها أن تكون وتسود إلّا بذوي العلاقة، ومع أنَّ

---

47 التوبة 88.

48 الأنفال 60.

49 آل عمران 159.

50 الشورى 38.

المشاركة حقّ وفقًا للأمر المشترك بين من يتعلّق الأمر بهم، فإنَّ البعض يحرم البعض الآخر تغييبًا وإقصاءً وحتّى قتلًا لكي ينفرد الدكتاتور بالأمر، ولكن إن قَبِل من قَبل أن يكون خاضعًا له، فعليه بإظهار الطّاعة التَّامّة لذلك الدكتاتور الذي قرّر الانفراد بالأمر كرهًا.

ومع ذلك النَّاس كلّ النَّاس لا يمكن أن يجمعوا على قبول الرّضوخ تحت أقدام الظَّالمين؛ فهم بين رافضٍ ومتمرّدٍ وثائرٍ، وقابلٍ متكيّفٍ مع الأمر الواقع ظلمًا، ومنافقٍ بين خوفٍ وجبنٍ.

ولأنَّ النَّاس يتفرّقون وهم أيضًا قابلون لأنْ يُفرّقوا عنوة؛ فإنَّ الظالمين يعرفون جيّدًا أنَّه كلّما ازداد تفرّق النَّاس ضعفوا ووهنوا واستكانوا؛ ولذا فهم يعملون ليلَ نهارَ على مزيدٍ من الفرقة؛ حتَّى بين المرء وزوجه.

والمشاورة قيمة استيعابيّة تتّسع دوائرها باتساع الأمر، وهي حقّ لكلّ من يتعلّق الأمر به على أيّ مستوى من مستويات الأمر الجماعيّة والمجتمعيَّة وفي أيّ مكان وزمان، والمشاور هو الموصوف بالمشاورة التي تعني: أخذ الرَّاي بعد تبيان الأمر واستيضاحه: {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}51، وهذا يدلّ على أنَّ مفهوم الشّورى يتعاظم كونه قيمة حميدة لا يقتصر على فئة أو جماعة دون أخرى، بل الشّورى حقّ لكلّ النَّاس وأيّ عددٍ يمكن أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذلك فممارسة الشورى حقٌّ للجميع الذكور والإناث ولا أمر إلّا ويُفْعَل بالشّورى.

---

[51] آل عمران 159.

ولأنَّ الأمر هو كلّ ما يتعلّق بالإنسان من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته، فهو واجب الأخذ به؛ ولذلك في الآية السّابقة خاطب الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام وألزمه بالمشاورة في الأمر، وكأنّه يقول له، في وجودك يا رسول الله لا ينبغي لك أن تقرِّر أيَّ شيء يتعلّق بالنّاس نيابة عنهم، بل ما يتعلّق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورى معهم؛ ولذلك كانت الآية (وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ) موجَّهة إلى رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام لتبيّن له أهميَّة المشاورة في الأمر مع الذين يتعلّق الأمر بهم.

وبعد أن تتمّ المشاورة في الأمر الذي هو بين النَّاس (شركاء فيه) يجب أن يؤخذ القرار الذي أصبح العزم فيه واضحًا إذ لا تردّد من بعد مشاورة تفضي إلى قرار عن وعي وإرادة ورغبة، (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكلّ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، أي: إذا بلغت مرحلة اتخاذ القرار، واتّخذته بعد المشاورة فتوكّل على الله لتنفيذه وفقًا لِما صمّمت عليه من رأي، أي: لا يجب أن تتأخّر؛ فامضِ حيثما عزمت؛ فإنَّ الله يُحب المتوكّلين عليه في تنفيذ أمورهم التي هي في مرضاته تعالى؛ ولذلك كانت منابر المساجد في عهد رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام منابر دعوة وتبشير وشورى وفي كلّ أمر يتعلّق بالنّاس؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاورًا لمن يتعلّق الأمر بهم سلمًا وحربًا وعهدًا وموثقًا. ويا ليت النَّاس من بعده كانوا على هدى الشّورى سياسةً واقتصادًا واجتماعًا، بل في هذا العصر

الانحرافات عن الشّورى هي السائدة، ممّا جعل الأمور في أوطان المسلمين تزداد تأزُّمًا؛ فحكم الدكتاتور بداياته مخالفة، ونهاياته جريمة واختراقًا لحقوق الإنسان وكرامته استعبادًا وإذلالًا وقهرًا؛ ولهذا تزداد التأزُّمات تأزُّمًا والشدّة أكثر ألما.

ومن ثمَّ فقوله: (وَشاورهُمْ في الأمر) هي الباقية حتَّى وإن كانت نتائج بعض المشاورات ليست بالإيجابيَّة الظاهرة؛ ولأنّ الكمال لله وحده فلا استغراب أن يكون النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم على غير كمال؛ فيقعون في مثل ما وقع فيه المتشاورون في موقعة أُحد بأسباب عدم التقيّد بما عزم عليه رسول الله وهو البقاء على قمّة الجبل لبعض من الرّماة، ولأنَّ الشورى حقّ فلا ينبغي لها أن تُفسخ بأسباب عدم الكمال، بل به يجب أن تُرسَّخ بين النَّاس ليكونوا على الحقّ أو منه أقرب، أي: إذا كان رأي النَّاس لم يبلغ الكمال؛ فكيف بحال من ينفرد بالرَّاي بعلّة أو بدون علّة!

وفي حديث عن سيدنا عليّ رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله الأمر ينزل بعدَك لم يَنزل فيه قرآن ولم يسْمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابِد من أمّتي واجعلوه بينكم شُورى ولا تقضوه برأي واحد"[52].

وفي عهد ملكة سبأ كان للمشاورة شأن؛ ولهذا كانت في ذلك الوقت على القوّة التي بها يُضرب المثل، قال تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أولُو قوّة وَأولُو بَأْسٍ

[52] التحرير والتنوير، ج 3، ص 263.

شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}53.

ولأنَّ الله واحد لا شريك له لا يُثنى ولا يُجمع؛ فهكذا الحقّ هو واحد لا يُثنّى ولا يُجمع؛ ولهذا ينبغي لنا أن نجمع النَّاس شورى بالحقّ كي لا يتفرّقوا من بعده.

إذن: الأمر الذي يتعلّق بالنّاس في فترة الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام كان في حالة شورى بين الرّسول والآخرين الذين يتعلّق الأمر بهم؛ أمَّا من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلّق بهم شورى يقرّرون ما يشاءون فيه، وينفّذونه كما يشاءون وفقًا لما يرون؛ ولهذا لا ينبغي لأحدٍ أن يتقدّم لينوب عن النَّاس فيما يتعلّق بهم من أمر دون أن يكلّفوه به تكليفًا إراديًّا.

وكلمة (أمرُهُم) تتكون من جزأين هما:

. أمْرُ.

. وهُم.

فالأمر هو ما سبق تبيانه، أمّا (همّ) فجاءت مطلقة، أي: كلّ من هم على علاقة ارتباط مع الأمر، ولفظة (بينهم) الظّرفية تعني: أن تقتصر الشّورى في الأمر على الذين يعنيهم الأمر فقط ولا مكان لغيرهم فيه،

---

[53] النمل 32، 35.

ولتأكيد هذا الخصوصيَّة قال عزّ وجلّ: (بينهم)، ولم يقل: بين الحاكم والمحكومين، أو بين السّادة والعبيد، أو بين المسؤول وغير المسؤول.

والشورى فضيلة خيّرة وقيمة حميدة استمدّت من الدّين والعرف الذي هو المكوّن العام لكلّ الذين تعنيهم الشّورى في الأمر؛ ولهذا وجب تفعيلها مبدأ قيميًّا؛ فالشّورى من أخلاق العقلاء كونها رافدًا مهمًّا في تحسين الاختيار الذي يصبّ في قرار الإرادة الناتج عن الوعي الجمعي، ومن شاور النَّاس شاركهم فيما يعقلون؛ وذلك من أجل تحرّي أفضل السُّبل التي تقود إلى نجاح فكرة ما أو رأي ما أو قضية من القضايا الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، ذلك أن أيَّ قرار بإرادة لا يستند على المشاورة مبني على نقص في الفكرة؛ ولذا فالعلاقة قويّة بين الإرادة والأمر والواقع والظرف الذي هو فيه؛ فالإرادة قيمة تُمكِّن من اتخاذ قرارات وفق معطيات واقعيّة، وهذا الواقع إنّما يتمثّل في أفراد المجتمع الذين يتعلّق الأمر بهم، وكلّما كانت دائرة المشاركة والشّورى متَّسعة للذين يتعلّق الأمر بهم، كان الاختيار أقرب إلى الواقع، أو مطابقا له، وبالتّالي كان قرار الإرادة ينسجم مع هذا الواقع الذي يُهيّئ له في دائرة الممكن.

ولأنَّ الأعمال تتفاضل وتختلف درجاتها، وشرط نجاح الأعمال سلامة المعتقد، أو نجاح الفكرة أو الأفكار التي تقوم عليها تلك الأعمال، ومن أجل تطابق الفكرة النظريّة مع الواقع العملي قدر المستطاع وجبت

المشاركة والشّورى التي تؤسّس على الإرادة من أجل ممارسة الحقّ والعمل على إحقاقه.

فالشّورى لا تقتصر على فرد أو صديق أو جماعة دون أخرى، وإنّما كلّما اتسعت دائرة الشّورى، اتّسع مجال الاختيار، وحتّى الذين لا تظنّ بهم خيرًا يدخلون ضمن الشّورى التي بأسبابها تتطهّر أنفسهم أو تقتدي للأحسن والأقوم؛ فمن خلال الشّورى يتمّ الحصول على أفكار عقليَّة وخلاصة تجارب تستند إلى أساس واقعي، فمجموع الأفكار التي يتمّ استخلاصها شورى إنّما هي نتاج تجارب وخبرات وحاجات متنوّعة ومتطوِّرة إمّا مقتبسة من الواقع من خلال المشاهدة بإعمال الفكر وعملية التأمل، أو مكتسبة منه على أساس تجربة سابقة؛ فهذه الشورى وإن كانت فكرة ذهنية، فإنَّها تكوّنت من معطيات واقعية، وعلى هذا الأساس يستطيع المشاور أن يُركِّب من خلال إدراكه لِما هو واقع مدركات وتصورات جديدة تُسهم أو تؤدّي إلى إنتاج معرفة مضافة بأساليب أكثر فائدة ونفع في صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه: المشورة هي إغناء الفكرة من استظهار آراء الآخرين لمعرفة ما لديهم من خبرة ومعرفة ورأي، فهي تشدّ أواصر الرّابطة الجماعيّة والمجتمعيَّة بين من يتعلّق الأمر بهم؛ فالمشورة تنوِّر الأفكار وتوضِّح الأمور، ممّا يضفي زيادة في الفهم عندما يقدم العقل على الاختيار وبخاصّة في الأمور المصيريّة التي تحتاج إلى إمعان النظرة وتقليب الفكرة، ولذا فإنَّ الشّورى أمر يجب

الأخذ به والعمل عليه مشاركة؛ فهي قيمة حميدة وفضيلة خيّرة، ومن يريد أن يبقى غير طائعٍ للدكتاتوريين فعليه بتفعيل المشاركة شورى في كلّ أمر مستوجب الاستشارة فيه.

إذن: الاستشارة تؤدّي إلى صواب الرَّاي، ولا يكاد المشاور أن يخطئ، وإن أخطأ بأسباب عدم الكمال فقد شارك من استشارهم في حمْل المسؤولية.

ولذا؛ فإنْ أرِيدَ للمجتمع أن يكون قويًّا فعليه بتمكين أفراده من ممارسة المشاركة شورى في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النَّفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

ولأنَّ أمر الحرب كأيِّ أمر من أمور النَّاس هو شورى بينهم فلا يجوز فيه الإجبار من أحد، ممّا جعل الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام في عهده لا يتجاوز التحريض على الجهاد، ولذا فمن لا يرغب في ذلك لا يكره ولا

يرغم ولا يساق إلى جبهات القتال بالسياط والتهديد بالقتل كما هو حال الجيوش النظامية التي تجنّد بأوّل غرض وهو حفظ أمن الحاكم، ثمّ بعد ذلك إن كتبت حربًا على الحاكم الظالم بما يقدم عليه من أعمال الفساد وأفعاله.

وعليه: لم يكن للرّسول جيوش نظامية كما هو حال المجتمعات من بعده، بل كان معه مقاتلون من أجل إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل وبكلّ اشتياق ورغبة، ممّا جعلهم يوصوفون بـ(المجاهدين)، أمَّا أمر الجيوش فهو عبارة عن موظفين مأجورين من قبل أجهزة الدَّولة للدّفاع عن النّظام وقمّته بشكل خاصّ، وعندما تُكتب عليهم الحروب يدخلونها متثاقلين غير راضين، وليس لهم حرّية التخلّف عن تنفيذ الأوامر التي تصدر لهم، وهم لا رأي لهم فيها، ممّا يجعل الهزائم العسكرية علامة من علامات الجيوش المأجورة.

وبالرّغم من الخسارة الحربية للمسلمين في بعض المعارك التي خاضوها ضدّ الذين كادوا لهم المكائد ومكروا بهم مكرًا فإنَّ الانتصارات كانت هي الحليف الأكثر تكرارًا لهم؛ وذلك نتيجة الإيمان بالقضية التي جاهدوا في سبيلها بالقوّة، قوّة العقيدة وقوّة التوحيد وقوّة الحُجّة وقوّة النَّفس وقوّة الإرادة التي جعلت للتهيّؤ والاستعداد والتأهُّب أهميَّة ورفعة شأنٍ.

إذن: الفرق كبير بين من يقاتل من أجل قضيّة عن إرادة، ومن يقاتل من أجل حكومة مكرهًا، فالذي يقاتل من أجل قضيّة دينية أو وطنية فهو

يقاتل في حقيقة الأمر من أجل كرامة شخصيّة يكون لها اعتبار بين النَّاس ويكون لها اعتبار في المستقبل الخالد، ممّا يحقّق للمقاتل النّصر أو الاستشهاد، أمَّا الذي يقاتل بغير قضية فلا يكون له اعتبار لا في الحاضر ولا في المستقبل، ممّا يجعله في حالة استسلام وهزيمة ويكون النّدم غير مفارق له.

وعليه: جاء الأمر في قوله تعالى: (شاورهُمْ) مطلقًا لا مقيّدًا على أمرٍ محدّدٍ، أي: شاورهم يا محمَّد في كلّ أمر من أمورهم المؤدّية إلى علاقات بينهم؛ فالمشاورة بين المسلمين جاء النصُّ عليها فيما لم يرد بشأنه نص واضح مبيِّن؛ فالذي نزل بشأنه نص قرآني لا شورى فيه، بل به يتمّ الالتزام والاتباع مع فائق الطّاعة.

ولأنَّ الشورى هي البوتقة لأخذ الرَّاي الصواب والرّشاد إلى ما يجب فهي حقّ يجب أن يُعطى ويُمكَّن النَّاس منه، وإن لم يعط سيتمّ أخذه كلّما تهيأت له الظروف؛ والشورى في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إن أردنا القدوة الحسنة لها مرامٍ منها:

- تُمكِّن من معرفة خير الأمور بين النَّاس وأشرّها.
- تُمكِّن من اتباع أمر الله بين العباد وبالعباد.
- تُمكِّن المتشاورين من المعرفة الحقّة.

. تُمكِّن من معرفة المتميّزين واكتشافهم في المجتمع فكرًا واستعدادًا وقدرةً وقدوةً حسنة.

. تُمكِّن المشاركين من حمْل أعباء المسؤوليَّات الجسام.

. تُمكِّن أصحاب الأفكار والرّؤى من بوتقة أفكارهم ورؤاهم في اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ وفقًا لِما هو متاح لديهم من إمكانات.

. تُحسِّن من المستوى المعرفي للمتشاورين وترتقي بهم إلى ما يفيد وينفع.

. تُمكِّن الأفراد والجماعات من الانتماء إلى النظام الذي أقرَّ لهم حقّ المشاركة.

إذن: الشورى تمكّن النَّاس من ممارسة الحكم على قاعدتين رئيستين هما:

1 . إحقاق الحقّ.

2 . إقامة العدل.

وفقًا لهاتين القاعدتين لا مكان لمحتكر لعناصر القوّة، أي: لا مكان للظالمين والمتجبّرين والمتكبّرين والمفسدين في الأرض والفاسدين؛ ولذا لا طاعة لأحدٍ على أحد إلّا في حالتين هما:

. طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ

الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[54].

. طاعة أولي الأمر منكم، وهؤلاء ليس هم أولي أمركم؛ فالفرق كبير بين أولي الأمر منكم، وأولي أمركم؛ فأولو أمركم همّ الوالدين أو من يحلّ محلّهم من الأخوة والأقارب الذين يتعلّق الأمر بهم، أمَّا أولو الأمر منكم مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}[55]؛ فهم الذين أوليتموهم أمركم وفقًا لدستور أو عرف أو قانون أو عقد اجتماعي وإنساني، ممّا يجعل طاعتهم طاعة للأمر الذي هو منكم، وفقًا للصّلاحيات والاختصاصات والحقوق والواجبات والمسؤوليّات الموثّقة والمشرّع بها.

وعليه: فالمطاع هو الذي يتمَّ اتّباعه عن رغبة وإرادة، والطّاعة الحقّ لا تكون إلّا للحقّ والذي يأمر به، ولهذا في الطّاعة اتباع، ونيل تقدير، ونيل احترام، ونيل اعتراف، وتحقيق اعتبار، وفي معكوس المعنى اللغوي للطّاعة يكون الضلال والمعصية، وهنا يصبح في مقابل الطوع يكون الكره.

[54] لقمان 14، 15.

[55] النساء 59.

ولأنَّ الدّين الحقّ من عند الله؛ فالله تعالى أوجب طاعة الرّسول ثمّ تلاها بطاعة أولي الأمر من النَّاس طاعة في غير معصية لله، ولذا فإنَّ قوله (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) لا تعني أولي أمركم، فأولي أمركم تعني: من يتولاكم بالرّعاية والعناية كالوالدين والأخوة الكبار، أمَّا أولي الأمر منكم تعني: الذين اخترتموهم طواعية للقيام برعاية الأمر الذي هو منكم، وهذا الأمر هو أيُّ أمر منكم سواء أكان سياسةً داخليةً أم خارجيّةً أم سلمًا أم حربًا، فالذي اخترتموه لذلك عليكم بطاعته في الأمر الذي اخترتموه من أجله، وهذا يعني لا طاعة له في غير الأمر الذي تمَّ اختياره ليكون عليه وليًّا راعيًا. ولكن هناك من يولّى على الأمر فينقلب على من أولوه رعاية له، ممّا يجعله يخطو بأوّل خطوة لتغيير الدّستور أو العمل بقانون الطوارئ؛ فيقمع الشّعب بكلّ الوسائل المكمّمة للأفواه المطالبة بالحريَّة، ويغيّر عناوين الإدارات والمؤسّسات، كما يغيّر المسؤولين من مسؤولين لهم من القدرات والمهارات والخبرات ما يكفي لإدارتها بآخرين أزلام ليس إلّا؛ فيولّي على النفط من لا علاقة له بعلم النفط وسياساته، ويولّي على التعليم من لم يتأهل حتَّى بالشهادة الإعدادية، ويولي على الصّحة من تخصّصه جغرافي؛، وهكذا كلّ شيء يتغيّر بغير حقّ لتصبح المظالم هي السّائدة وآلام الشّعب وأوجاعه تتضاعف، والرّفض جنبًا إلى جنبٍ معها يتضاعف إلى أن يبلغ السيل الزبا؛ فَيَهُب الشّعب بأسره غضبًا من أجل كرامة جرحت، وهويّة طمست ودين شُوّه، وقيم قوّضت.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (تفعيل المشاركة):

1 . تحفيز أفراد المجتمع على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده.

2 – إعطاء الفرصة للعملاء لفهم مشاكلهم وأسبابها والعوامل المؤثرة فيها، من أجل أنْ يتخذوا قراراتهم عن وعي وبحرية تامّة في كل ما يتعلق بهم من أمر لأجل إيجاد حلول ومعالجات مرضية حتى يتم التمسك بها موضوعيًّا.

3 – مساعدة العملاء على إدراك قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم المتاحة والتي يمكن تتاح.

4 . توعية الأفراد بأهميَّة التمييز بين ما يجب وما لا يجب ليتمكّنوا من الإقرار بما يجب ويعملوا عليه ومعرفة ما لا يجب ويبتعدوا عنه.

5 . تحريض الأفراد على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام، وبما يثبت ذاتهم الاجتماعيَّة.

6 . تعزيز التعاون بين أفراد المجتمع وجماعاته على ما من شأنه أن يؤدّي إلى تقديم الحقائق كما هي، ويحقّق نتائج موجبة للمجتمع بأسره.

7 . دفع أفراد المجتمع وجماعاته إلى التخصص المهني الذي بدوره يؤدّي إلى تطوير المجتمع وإحداث التغيير المحقّق للنُّقلة.

8 – تفطين العملاء بإمكانات المؤسّسة وشروطها، وموارد البيئة المحيطة التي يمكن الاستفادة منها بما لا يتعارض مع النُّظم والقوانين.

9 – إمداد أفراد وجماعات المجتمع بالإمكانات المادّيَّة والمعنويّة التي تُمكِّنهم من التخلُّص من عوامل الخوف والتهديد، وتفسح أمامهم مجالات التنفيس عن انفعالاتهم من خلال ممارسة الأنشطة المتعدِّدة والمتنوِّعة.

10 ـ حث الأفراد على المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدمون عليه من عمل بنجاح.

11 ـ حث أفراد المجتمع وجماعاته على المشاركة الفعّالة التي تُمكِّنهم من إنجاز المهام وتأدية الواجبات الصعبة بتعاون وجهود مشتركة.

12 ـ تفطين أفراد المجتمع وجماعاته إلى التمسّك بكلّ ما يتعلق بهم من أمر واتخاذ القرارات المناسبة حياله بإرادة.

13 ـ تفطين أفراد المجتمع إلى أهميَّة مشاركة أفراده القادرين على تنفيذ القرارات التي اتخذوها بإرادة.

14 – استثارة القوّة الذّاتية للجماعة بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبًا لإشباع احتياجاتهم.

15 – المشاركة في سن القوانين التي تُمكِّن الأفراد من ممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وتحمّل مسؤولياتهم كاستجابة لممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي.

16 – ترشيد أفراد المجتمع على أنَّ الدّفاع عن الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة واجب أخلاقي وإنساني تحتويه المناهج والمقررات ويعمل به الأخصائيُّون الاجتماعيُّون ويقدمون على ترسيخه مهنيًّا.

17 . تحفيز أفراد المجتمع دون استثناء على متابعة ما اتخذوه من قرارات وما عملوا على تنفيذه حتى لا يحدث الانحراف عن قيم تأكيد الشّخصيَّة الاجتماعيَّة المسؤولة.

18 . إظهار الاتزان النَّفسي عند تعامله مع الأفراد والجماعات أو مع العملاء في المؤسّسات الاجتماعيَّة.

19 . إظهار المهارات المهنيَّة أو الحرفية المتنوِّعة بتوازن مع مبررات كل موقف ومع مبررات كل ظرف من الظروف التي تختلف من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر.

20 . تمكين الأفراد والجماعات أو العملاء من المشاركة الإيجابيَّة؛ حتى يتمكَّنوا من التفاعل الاجتماعي المرضي.

21 – مساعدة الأفراد والجماعات على الاسهام الكامل والاشتراك الفعلي في عمليَّات الدراسة وتحديد الأهداف ووضع الأولويَّات ورسم الخطط وإعداد البرامج وتنفيذها.

22 – تفهُّم قدرات الجماعة واستعداداتهم، وتقدير أفكارهم واحترام آرائهم بما يساعد على إنجاز المهمة المسندة إليهم وفقًا للخطط المرسومة.

23 . توعية الأفراد والجماعات أو العملاء والزّبائن الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي معهم بما يجب حتى يتمّ الإقدام عليه، وبما لا يجب حتى يتم الإحجام عنه.

24 . تشجيع الأفراد والجماعات على إظهار مهاراتهم المهنيَّة حتى يتمكّنوا من المشاركة الفعّالة التي تُسهم في عمليَّات التغيير الاجتماعي المستهدف بذلك.

25 . ترسيخ القيم والفضائل الإنسانيَّة وبناء الشّخصيَّة المتطلّعة لكلِّ موجب وجديد بتأكيد أهميَّة ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليَّات.

26 . العمل على تحقيق التوازن العلائقي بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليَّات.

27 – تحديد أوجه النشاط المكلف به كلّ عضو من أعضاء الجماعة وممارسته في حدود ما تسمح به قدراتهم وإمكانات المؤسّسة وظروفها.

28 – إعداد برامج تتضمّن أنشطة تهدف إلى تقوية إرادة الجماعة؛ فكلّما كانت إرادة عضو الجماعة قويَّة تمكَّن من التفاعل الموجب مع بقية الأعضاء، وتحقّق بذلك التوازن الانفعالي الذي به يتمكّن من تكوين علائق تطلعيَّة.

29 – المساعدة على اختيار قائد للجماعة، له منهج وطريقة وأسلوب يحقق من خلالها أهداف الجماعة وأهداف المؤسّسة.

30 ـ تفطين أفراد المجتمع بأهميَّة ممارسة الحقوق؛ حتى تتأكد إرادتهم بحرّيَّة.

31 ـ التأكيد على أهميَّة أداء الواجبات في ترسيخ حقّ المواطنة وبناء الشّخصيَّة المتطلِّعة مع كلِّ موجب مفيد.

32 ـ ربط العلاقة القيميَّة بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وما يترتّب عليها من حمْل المسؤوليَّات.

33 ـ ممارسة الحريَّة قيمة تؤكّد كرامة الإنسان فردًا أو جماعةً أو مجتمعًا عميلًا كان أم زبونًا، فعلى الأخصائي الاجتماعي ألَّا يغفل عن أهميَّة الإرادة في ترسيخ هذه القيمة على أيِّ مستوى من مستويات الشّخصيَّة.

34 – التخفيف من حدة التوتّرات الداخلية لعضو الجماعة، وإقناعه بأنَّه قوّة، وأنَّ عليه اتخاذ الكثير من القرارات، وألا يقف عند فشل قرار اتخذه في حياته.

35 – إزالة الضغوط الخارجية التي تحد من حرية الأفراد في اتخاذ الاختيار السليم لمصيرهم، سواء من جانب الأسرة أم المدرسة أم الأصدقاء أم وسائل الإعلام.

36 – تدخل الأخصائي مهنيًّا في تقرير مصير الحالات التي تعاني من الركود والسلبيَّة والتواكل أو الحالات المرضيّة، أو مخالفي القانون.

37 ـ دفع الأفراد للمشاركة في رسم الخطط والسياسات في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) يُمكِّنهم من تفادي المفاجئة والاستعراب.

38 ـ تفعيل المشاركة الإيجابيَّة في كلّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا الاجتماعي ويُمكِّن من بلوغ النتائج المرضية اجتماعيًّا.

39 ـ المشاركة في رسم الخطط والاستراتيجيات وفقًا لأهداف واضحة ومحدّدة؛ حتى يتمّ التمكّن من نتائج موضوعيَّة[56].

المشاركة تهيأً:

التهيؤ صحوة تبحث عن منفذ يتمّ من خلاله تغيير الأحوال إلى ما يمكن أن يكون غايةً أو أملًا؛ ولذا يعد التهيؤ يقظة انتباه بعد غفلة، تمكّن من تنفيذ الفعل.

ولأنَّ التهيؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل، فهو متى ما كان يقظة في النَّفس والعقل دفع إلى إنجاز ما كان هدفا، وتحقيق ما كان غرضا، وبلوغ ما كان غاية، والفوز بما هو

[56] عقيل حسين عقيل، الموسوعية القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية (الوحدة الثالثة البرمجية القيمية لمبادئ الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص 28.

مأمول في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولكن كلّ هذه لا تتمّ إلّا بعد عُدّة تُعدّ واستعداد يُهيأ، وتأهّب يؤخذ في الحسبان.

ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتمامًا، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

فالتهيّؤ يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفُّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنَّه الحالة التي يبدو عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالتهيّؤ نضج طبيعي، ونضج معرفي بما سيأتي لأن يُفعل، كنضج الثّمار لأنْ تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزّواج؛ وكالتهيّؤ للصّلاة والصّيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيّؤ لا يتمّ إلّا بمجموعة من التفاعلات المحفِّزة للقوى الكامنة في الإنسان قبل الاستعداد إرادة لفعل مخصوص؛ إنَّه الحركة بعد السّكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وعليه:

. هيّئ نفسك لما يجب، حتى لا تقودك الشهوة إلى الإقدام على ما لا يجب.

. التفت إلى نفسك واعمل على ما يحقّق لها الطمأنينة.

. فكّر حتى يولّد لك عقلك فكرة تخرجك من التأزّم.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تتبيّن.

. هيئ نفسك للعمل؛ فهو المنقذ من الحاجة.

. هيئ نفسك لمواجهة الصّعب تنجز ما كنت تأمل.

. هيئ نفسك لغير المتوقّع تجد المتوقّع بين يديك ميسرًا.

ومن هنا فالتهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّةً متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئا مفعولا، ولو لم يكن الشيء متهيئا للظّهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا عليها بالتمام؛ وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن وعقل الذي سيفعله؛ فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النّاس لابدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد، ثمّ التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه

ليكون بين النّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر الإرهابي ذا وطأة على أنفس المرتهبين، ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انحيازا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائمًا يسبق إعداد العُدّة والفعل والسّلوك والعمل؛ لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها هيئة في أذهان وعقول المبدعين لها؛ ولهذا لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئا إلّا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة؛ فالسّكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصّورة التي هو عليها دليلًا شاهدًا بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه؛ من حيث كونه صلبا ومتينا وحادّا من أحد طرفيه أو حادّا منهما، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى أو سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول؛ ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّؤاتها؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعالا متحقِّقة على أرض الواقع، وهكذا هو حال الفكرة؛ فبعد أن تنضج في عقل المفكّر أو المتدبّر يتمّ من بعدها رسم الخطط المنفّذة، ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار للقيام بالعمل أو أداء الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصّورة حيث لا شكل له ولا مظهر له سوى الأثر السّلبي الذي يمسّ النَّفس الإنسانيَّة، فإنَّ أثره لا يكون سائدًا في النَّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا مادّيًّا، أي: إعدادًا لِما يُظهِره وليس إعدادًا لإظهاره؛ ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبا واستعدادا.

إذن يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليَّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيظل سائدا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفا القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّة وعتادا واستعدادا واستيعابا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادرا على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ وتهيئة القوّة العقليَّة ولفتها للمخاطر؛ بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولّد القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرٌ ميسَّر قد تواجهه صعاب تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا كان أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل؛ ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابله؛ لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تولد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ لكونه إيقاظًا عقليًّا؛ فإنّه يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ ومن دونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظا هو المحدِث للفعل والمحقِق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنَّ الإرهاب فعل مقلق فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟ ولمّ لا يتهيأ الجميع للسّلام الذي يجمع شمل المتفرقين والمتقاتلين؟

قد يرى البعض أنّ هذا القول لا يزيد عن كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع أنَّ كلّ شيء ممكن؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

إنَّ التهيؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهميَّة خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة، وفضائل خيّرة، تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه، وذلك بهدف غرس الثِّقة المتبادلة، وبغاية تغيير الحاضر تجويدًا، ومن ثمّ العمل على صناعة المستقبل المأمول.

التهيّؤ للفعل:

معطيات التهيؤ للفعل هي تلك المستفزّات التي لا تُقبل بأيّ حال من الأحوال، ممّا يجعل الإنسان مهما بلغ من الجبن ليس له إلّا أن يرفض ويتهيأ لتقبّل المؤلم متى ما ترتّب عليها، ولكن لا يتقبّله رغبة بل تحدّ تكون فيه المواجهة هي العنوان.

ومع أنَّ منتجات التهيؤ مستفزّة، فإنَّها لا تقتصر على سالبٍ، بل تتعدّاه إلى الموجب والمطمئن؛ حيث فيها من المحرّضات على العمل والبناء والإعمار ما فيها، وفي كثير من الأحيان تتجاوز المطالب الخاصّة إلى المأمولات العامّة.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو متوقّع وغير متوقّع وسالب وموجب؛ فمن النَّاس من يتهيّأ لأعمال الإصلاح والإعمار، ومنهم من يتهيّأ لأعمال الإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ، وفي كلِّ الأحوال مع أنَّ التهيّؤ مرحلة ما قبل الاستعداد والتأهب والفعل فإنّه لا يمكن أن يكون تهيّؤا إلَّا بمعطيات وفيها من التضاد ما فيها، ومن هذه المتضادات:

. الحاجة وما يشبعها.

. القيام بالفروض، واتباع السُّنن.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسئوليّات.

. نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار والاحترام.

. غرس الثِّقة.

. الإقصاء والعدوان والإذلال والحرمان.

. التسفيه والاستغفال وتقديم الإهانات والمساس بالكرامة.

. الاحتكار والاستغلال ونشر الفساد.

. السخرية من الدّين، أو المساس به وما يتعلّق به من أمور.

. احتلال الأوطان أو القيام بأعمال الإرهاب.

. تزوير الحقائق وشهادة الزور، والعمل على طمس الخصوصيَّة.

. الاعتداء على الملكية الخاصّة ومصادرة الرَّاي.

المشاركة تمكن من التأهُّب استبصارًا:

مع أنَّ الفرد قوَّة؛ فإنَّ الجماعة أقوى، وأنَّ المجتمع أكثر قوّة؛ لذا فمن يستبصر نفسه قوّه، فعليه أنْ لا يغفل عن قوّة الجماعة التي كلّما شاركها استشعر أنَّه أقوى من تلك القوَّة التي كان يستشعرها على المستوى الفردي.

ولذلك فالاستبصار دراية هو القيمة التي تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرًا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالاستبصار إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانيَّة من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر؛ كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرًا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلًا وإدراكا وما يستمدّه استقراءً واستنباطًا: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}[57].

[57] الصافات 174 . 179.

هذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهميَّة الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبًا (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدل على تولي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبا، ثمّ جاء قوله تعالى: (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالا على أهميَّة ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثَّانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة، وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[58].

وعليه: لقد كان يونس بصيرا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم؛ ولأنّه رسول مُرسل قد كان طائعا لأمر ربِّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيًّا؛ ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابيًّا؛ ليقدم عليه متأهّبًا.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}[59]، أمَّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينية، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ

[58] الصافات 180- 182.

[59] الأنعام 103.

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}[60]؛ ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفيَّة التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنًا بأنَّ من ورائها خالقًا عظيمًا يملك قوّة الخلق كلّه، ويؤمن إدراكا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيأ لمعرفة الكيفيَّة التي عليها المشاهد؛ لأنّ معرفة الكيفيَّة تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرد، ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلا والمعجز معجزا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبا لمزيد من المعارف والعلوم، {وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}[61]، والضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها؛ ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيئًا.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السّابقة يجد التَّاريخ ملئ بالعبر والمواعظ والحِكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا

[60] الغاشية: 17 ـ 22.

[61] يونس: 43.

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[62]، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}[63].

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ، وهم كذلك متهيؤون لمعرفة الكيفيَّة التي عليها المخلوقات، ومتهيؤون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسّلوكيات التي ترتكب، سواء أكانت انحرافا أم صلاحا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم؛ وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النَّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}[64]. ومع أنّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنَّ نظر كثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّمًا، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد)؛ ولهذا وجب التأهّب فكرا حتى تصبح الثِّقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل

---

[62] الأنعام: 11.

[63] النمل:69.

[64] البقرة: 69.

المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرًا.

وعليه: فالإنسان المتأهّب بصرًا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهو الذي يتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرَّف، ثمّ يَقدم ويفعل؛ فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئًا ولا يتعجّب من شيء؛ لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصلاة وقوفا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلًا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصَّلاة عمل يُقام به) إقامة وركوعا وسجودا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسئولياتك؛ فالمسئوليَّات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات يتمّ نيلها.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة أنْ لا تكون متسرّعًا.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهورًا.

. تأهّب لكلّ شيء هو جزءٌ منك، ولكن لا تبالغ.

إذن فمن هو المتأهّب إيجابًا؟

أقول:

هو الذي تيقّن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب عن تساؤلاته وافتراضاته وما يشبع حاجاته أو يمكّنه من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأ إراديا وعدّ العدّة لذلك ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به؛ فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، ولكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا يجب أن يكون المتأهّب متأهّبا في ذاته ولا ينتظر من أحدٍ أن يؤهّبه؛ فالتأهّب يرتبط بنظرة ومعتقد وخبرة ومعرفة وتعلّم المتأهّب في ذاته، أمّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيًّا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارًا واحدًا؛ التقدّم الذي من بعده فرص التقدّم أعظم.

المشاركة في الفعل إرادة:

الفعل هو ما يفعل، سواء أكان عن إرادة أم من دونها المهم أنَّه يفعل، والفعل دائمًا يجسّد حيويَّة الإرادة عندما يكون الفاعل حرًّا مخيّرًا، وفي المقابل لا يعكس الإرادة إذا كان الفاعل مكرهًا على ارتكاب الفعل.

والفعل لا يمكن أن يكون ذا أهميَّة ومقصد ما لم يكن قابلًا للتنفيذ، وفقًا لخطة ترسم، وبرؤية قابلة للتقييم والتقويم، والفعل هنا عمل يجرى أو يقام به من قبل الذين تهيئوا له واستعدوا عن إرادة؛ ليكون الاستعداد وإعداد العدّة من بعدها سابقان على التأهُّب المؤهل للإقدام على الفعل.

ومن ثمَّ يصبح الفعل أمرًا يتحقّق ويترك أثرًا (موجبًا أو سالبًا)، ولا يكون إلَّا عن أخذ قرار وتدبُّر، سواء في حالة إدراك الفاعل لأثر فعله وما يترتّب عليه، أم بعدم إدراكه لذلك.

ولهذا تتجسّد الأفعال عملًا وسلوكًا على أيدي الفاعلين لها، مما يجعل صفات الفعل ملتصقة بهم، كالتصاق السّرقة بالسَّارق، والتطرُّف بالمتطرِّف، والكذب بالكاذب، والجريمة بالمجرم، والاحترام بالمحترم، والصّدق بالصَّادق، والأمانة بالأمين، وهكذا.

ومع أنَّ للكلمة معنى فإنَّها لا تعني شيئًا إذا لم تصبح فعلًا مجسّدًا عملًا وسلوكًا، ومن هنا تتجسّد الكلمة المتطرِّفة بالفعل المؤلم عملًا متطرِّفًا ما يجعل التطرُّف صفة الفاعلين له.

ومع أنَّ التطرّف يُفعل، ويترك أثرًا مؤلمًا، ويجرِّمه القانون، ويعاقب مرتكبيه، فلا إمكانيّة للقضاء على التطرّف قانونًا أو عقابًا؛ ذلك لأنَّ التطرّف فكرًا، والفكر لا يصحّح إلَّا بالفِكْر من خلال معرفة:

ـ العلّة التي أثارت العقل واستفزّت ملكاته.

ـ موقظات الإرادة التي لفتت الإنسان لعقله وحرّرته من الخوف، ومن قيود الفضائل، والقيم، والقوانين.

ـ مثيرات التهيؤ بعد أن أصبحت حيويَّةً، ولفتت الإنسان إلى نفسه وعلاقته بالغير من أجل أن يتخذ موقفًا به تواجه المستفزّات.

ـ دوافع الاستعداد التي قدّرت الفعل وخطورته، ثم مكّنت من تقدير الفعل وتحديد المستوجب لتنفيذه.

ـ كيفيَّة إعداد العدّة واختيار أنسبها لتنفيذ الفعل.

ـ أساليب التأهُّب التي مكّنت من وضع الأهداف موضع الصيَّاد من الطريدة.

ـ المعطيات التي ألغت التردّد من نفس المتطرِّف وجعلت الفعل منفَّذًا وفقًا للخطط الرَّئيسة أو البديلة.

وعليه: فالأقدام على العمل بمشاركة الآخرين عندما يُنظر إليه مجردًا عن الذات والموضوع، ما هو إلا قضيّة فكريّة بداية ليس للسُّلوك أثر فيها، وإنما تتولّد القناعات العقليَّة من الفكرة، وهذه القناعات تنبع غالبًا من المتضادات الفكريَّة التي لا تجعل للآخر اعتبارًا في بعض الأحيان، ويضاف إلى ذلك مؤثرات خارجيَّة من المجتمع والبيئة تنمو مع نمو الإنسان حتى تصبح جزءًا من شخصيَّته التي من الصعوبة أن تنفك عنها، الأمر الذي يجعل الأنا على خلاف مع الآخر في أشياء منطقيَّة حتى تصبح له سلوكًا، سواء أكانت ذات أثرٍ موجبٍ أم سالبٍ.

وعلى هذا فالسُّلوك يترتّب على الأفكار التي تثيره، وتحرّكه الدَّوافع وتحدد اتجاهه، فالفكرة المجرَّدة هي الأساس بداية في تحريك الدَّوافع، ومن ثَمَّ إثارة السُّلوك وتحديد اتجاه الأفراد، وكيف يتصرَّفون.

إنَّ الدَّوافع عادة تنشأ عن أسباب داخليَّة ذاتيَّة وخارجيَّة، تؤدّي إلى سلوك الفرد وتصرّفه وفق ما يتصرف به معظم الأفراد في المجتمع الذي يعيش فيه، وبالكيفيَّة التي يتصرَّفون بها؛ ومعظم الأفراد لديهم إحساس واضح بما يحدث ويؤدّي إلى دفعهم للقيام بفعل ما انطلاقًا من المركز، سواءً

أكان المركز يتمثل في الأنا، أم إنّ آخرين يرونه في الآخر حسب ما اكتسبوا من معارف وخبرات؛ ولذا فللسُّلوك مثيرات تستحضر التهيّؤ والاستعداد والإرادة؛ وتجعل الإنسان متأهِّبًا للإقدام على أداء الفعل مهما كانت النتائج المترتّبة عليه كلّ وفق اتجاهه الذي أُعِدَّ عليه أو تشرَّب معلوماته منه، سواء أكانت تلك المعلومات خاطئة أم إنَّها كانت صائبة.

وهنا فمثيرات السُّلوك هي من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الحركة قبل وقوع الفعل، وهذه المثيرات هي التي تستفزّ الإنسان بالتهيّؤ وتوجهه إرادة لاستمداد القوّة واستمداد وسائل إظهارها بغض النظر عن كونها شرعيَّة أم غير شرعيَّة، فكلٌّ حسب وجهته التي ارتضاها بإرادة.

فالإنسان المحترم تثيره الأفكار التي تولِّد عنده شعورًا اتجاه الآخرين كما تولِّد ردود أفعال اتجاههم، مما يجعله بعد تهيّؤ واستعداد وتأهب قادرًا على أن يقدِمَ على فعل مؤيدٍ أو فعل معارضٍ لذلك الفكر وأصحابه.

إنَّ استجابة الإنسان لمثير ما في سلوكه يتوقّف على مكتسباته من الأفكار والعادات والتجارب، ومن ثَمَّ طرق التصرف التي تعلّمها من قبل؛ استنادًا إلى معرفته السَّابقة، مما يجعل تصرُّف بعض الأفراد غير مؤسّس على أهداف واضحة محدّدة، والبعض الآخر يتّصف بالتحديد الدقيق في موقف ما وفق أهداف واضحة محدّدة، وبعضٍ منهم يكون سلوكهم لأجل الدفاع عن الأنا بصرف النظر عن الحقِّ والباطل أو الصواب والخطأ، وفي

هذه الحالة تكون نظرة الفاعل لهذا السُّلوك نابعة من الأنا التي يعدّها تمثّل المركز.

أمّا اتجاه السُّلوك فيتمثل في العادات التي اكتسبها الفرد، والمهارات التي يتمتَّع بها، والقدرات التي يمتلكها، وكثيرًا ما نجد الدَّوافع هي التي تحدّد اتجاه السُّلوك، من نجاح وفشل ومن ثأرٍ وانتقام، ومنافسة، وصراع، وصدام، واقتتال، وإقصاء، وتغييب، وتسفيه، وتقليل شأن؛ فكلّ السالب منها إن حدث ترتّب التطرُّف عليه بأسباب موضوعيَّة.

إذن فالدَّوافع التي تعمل على توجيه السُّلوك متباينة لدى الأفراد، منها: الدَّوافع النَّفسيَّة، والغريزيَّة، والفكريَّة، وكلّها قادرة على تحديد سلوك الفرد وتوجيهه، مما جعل الدَّوافع متأثِّرة بالحاجات ومشبعاتها، وهذه الدَّوافع التي تؤثّر في السُّلوك وتؤطّره وتحدد اتجاهه، تتطوَّر وتتشعَّب من خلال الخبرات المتراكمة من التجارب والثَّقافة التي مصدرها الفكرة.

إنَّ الدَّوافع التي توجّه بالسُّلوك تتطوَّر وتتشعب سلبًا وإيجابًا بتبني أفكار جديدة والتخلّي عن أفكار أخرى أو محاولة الجمع بينها أحيانا، وهذا أمر يعمل على التأثير في الأفراد والتجمعات خلال مسيرة الحياة، ومع ذلك فإنّ السُّلوك لا يُمكِّن من الوقوف على الأصول التي نبعت منها دوافعه على الرغم من أنه ناتج عنها؛ وذلك لما يطرأ عليها من أفكار تُقرأ من وجوه متعددة وتخرج بمفاهيم متباينة للفكرة الواحدة؛ لذا نجد بعض الأفراد يتَّصفون برغباتهم القويّة في الانتماء الاجتماعي الذي قد ينشأ

بسبب تأثير عوامل معينة في مجتمع معين، ومع ذلك نجد أفرادًا آخرين يرفضون هذا الانتماء في المجتمع نفسه، فيترتّب عليه اختلاف في السُّلوك، وهنا تنشأ عللٌ تجعل أفراد البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد لا يمكن أن يستقوا دوافعهم من مصدر واحد وإن اشتركوا في تجمع بشري وجغرافي؛ فالتجمع الجغرافي لا يُلغي تعدّد المصادر الفكريَّة متنوّعة الاتجاهات، مما يجعل الأحزاب السياسية والاتجاهات الفكريَّة في المجتمع الواحد تتعدّد.

وكثيرًا ما تتداخل أنواعٌ من الدَّوافع التي تُحفِّز السُّلوك وتتأثّر به، فقد تتمثّل الرَّغبة لدى بعض الأفراد في اكتساب خبرات جديدة نابعة من دوافع الاتزان والحرص، كما يكون الانطواء والخوف دافعا للاقتناع بالواقع لدى بعضٍ آخر، وعلى هذه الدَّوافع يتحدّد اتجاه السُّلوك؛ ونتيجة لذلك فإنَّ بعض النَّاس يتصرّفون وكأنّهم يبحثون عن الجديد بصورة مستمرة، بينما يبدو بعضهم وكأنّه قانع بالأشياء المألوفة لديه، وقد لا يرتضي التغيير وإن كان نافعًا.

ومع ذلك فإنَّ الفكر هو الأساس المؤثّر في السُّلوك مرونة أو تطرُّفًا وفقًا للوجهة التي يتوجَّه الإنسان إليها؛ لذا لا يمكن لأحد أن يرسم صورة للتطرُّف أو المتطرّف قبل الوقوف على تلك الأفكار التي أنتجت الدَّوافع المؤثّرة في السُّلوك وحدّدت اتجاهه في أقوال وأفعال أدّت إلى التطلّع من أجل تحقيق نتائج يمليها الفكر من بينها رفض التمركز على شخصٍ واحدٍ،

أو على رؤية واحدة لفردٍ أو جماعة معيّنة، بل يجب أن يتمّ نقل المركز وتبادله من الأنا إلى الآخر أو العكس كلّ بإرادة مع وافر الشفافيَّة.

ومن يفترض نفسه نقطة التمركز في الاعتدال والتوازن ظانًّا أنَّه يعبِّر عن الفضيلة والقيم السامية والأخلاق الرَّفيعة، فقد حدّد مواقع الآخرين ومواقفهم تبعًا لذلك، وبالتَّالي فهو يعطي مبررا للآخر أن يفترض الفرضيَّة نفسها، ومن هنا تنشأ القضيّة المعياريّة للتضاد الفكري؛ فالذي يُقرُّ سحق الآخر، وإلغاءه لمخالفة الرَّاي فقد ركب من التطرف مركبًا.

إنَّ الأفكار المتضادة عبر التَّاريخ التي نمت وقيّمت الآخر بميزان الأنا أنتجت مسميات للتضاد الفكري من (مركزٍ، ويمين، ويسار، ووسط، ويمين الوسط، ويسار الوسط، وكذلك اليسار المتطرّف، واليمين المتطرِّف)، ولكلٍّ وجهة هو موليها.

ومن هنا إنْ نصّبت الأنا نفسها ممثلًا لقيم الفضيلة ومركزًا لها، فقد حدّدت موقع الآخر تبعًا لذلك وفقًا للمقياس الذي ارتضته لنفسها دون استشارة الآخر، وغالبا ما يكون هذا المقياس الشخصاني متعارضا مع الآخر وقيمه وفضائله بنسب متسلسلة تصل أحيانا حدّ التصادم.

إنَّ مثل هذه النظرة التي تدَّعي أنَّها قادرة على وضع الموازين، وتدَّعي أنَّها القاسطة ولا غيرها، ومركزًا يجب على الآخرين الدوران من حوله تُعدُّ فاقدة لمبرراتها؛ بما أنَّها قررت أن تعارض أفكار الغير لمجرد أنّهم الغير، وهي بهذه النظرة قد وضعت نفسها في المواجهة أمام فوهة المتطرِّفين الذين إن

قرروا أصبح الموت مطلبًا يتسارعون في نيله دون خوف وبلا تردُّد، ويصبح المتطرِّفون قادرين على اتباع أساليب التطرُّف المتنوّعة التي منها العنف الدموي.

الإقدام على الفعل إرادة:

عندما تتساوى كفَّتا الحياة والموت عند الإنسان فلا استغراب أن يصبح متطرِّفًا، أي: عندما يتلقّى الإنسان تعاليم وأفكار منحرفة ومتطرّفة وكأنَّها حقائق دامغة للباطل يرسّخها في نفسه، ومن ثمّ يتحفّز إلى العمل الممكّن من الفوز بما يظنُّه الجزاء الأوفى.

ومن هنا فإنْ توافر العزم والإصرار يصاحبه على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون يصبح وضع الإصبع على الزِّناد استعدادًا للرمي في زمن الانقضاض.

ولذا فالتأهّب يؤجج في النَّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد، مع شجاعةٍ وبلاءٍ وإصرار على الإنجاز في الوقت المحدد للتنفيذ؛ خوفًا من التأخير الذي فيه تعشش المفاجآت؛ ولذلك دائمًا لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

ومن ثمَّ في التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض وتنفيذ الفعل؛ ولهذا فالفاعل عندما يكون متأهِّبًا تكون مشاعره وأحاسيسه مصهورة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل، والشّكّ من ملكاته منتزع انتزاعًا.

فذلك الصحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد لو لم يكن متأهّبًا للرمي ما رماه أمام أعين النَّاس على شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصحفي الموقَّر.

ولذا من يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّذ ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد، دون أن ينتظر رأيًا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنَّ لكلّ فعل ردّة فعل فمن دون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوافر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالأفراد من دون شكّ على مستوى المسئوليَّة يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقَّع حيال إنجاح مهمة من مهماتهم المكلَّفين بها أو المناطة بهم، ولكنَّهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقَّع مما يجعل المفاجآت تتكرر أمامهم على الرغم من الاستعداد والعدّة والعتاد.

إذن فالاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنًا ومحققًا للنجاحات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهميَّة وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت، وبالتالي فلا داعي أن يقدم على أفعال قبل أن يكون قد تأهَّب لها.

الفعل تتويجًا:

الفعل تتويجٌ للتهيّؤ والإرادة والاستعداد والتأهّب؛ فهو من غيرها لن يكون المؤثّر في صناعة المستقبل الأفضل، وهو الذي لا يتحقّق إلا من فاعل من أجل مفعول لأجله، والفعل حركة وسلوك وإنجاز، وعندما يتحقّق لن تنتهي الأمور بل يتوجَّه الفاعلون إلى بلوغ الغايات المأمولة؛ ولهذا فكثير من الأفعال تُفعل لإزاحة عوائق حائلة بين الذين لهم أمل وما يأملونه من غايات.

ولهذا يُعدّ الفعل خروجًا من دائرة السّكون إلى دائرة التنفيذ إنجازًا للأهداف أوّلًا بأوّل، من خلال تمدّد القوّة وحركتها الفكريَّة والماديَّة؛ ولهذا فالعمل الذي يفعل عن إرادة وبعد تهيؤ واستعداد وتأهُّب، هو العمل المدروس والمخطط له، والمأمول بلوغه ونيله عن دراية[65].

المشاركة الفعَّالة:

المشاركة الفعَّالة هي التي تترك أثرًا نافذًا ويكون أصحابها المشاركين في العمل أو النشاط مستشعرين بأهميَّتهم سواء أكانوا على المستوى الجماعي أم المجتمعي، والمشاركة الفعَّال لا تكون فعَّالة إلَّا إذا كان المشاركين في أفعالها جاءوا عن رغبة وإرادة.

[65] عقيل حسين عقيل، التطرف من الإرادة إلى الفعل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2019م، ص 250.

ولذا فالفرد عندما يكون مشاركًا عن رغبة وإرادة، يكون متحفِّزًا للقيام بكل ما من شأنه أن يترك أثرًا ويستحسنه الغير ويمجّده ويعظّمه.

ولهذا فلكلِّ مشاركٍ فعَّال مدخلات ومخرجات فعَّالة، ومع أنَّ المشارك في زمنه الحاضر (زمن المشاركة) يعمل بفاعليّة، فإنَّه يعمل بتلك الفاعليَّة من أجل الزّمن الآتي (من أجل المستقبل)؛ ولذلك فالشُّعوب المتقدِّمة في زمنها الحاضر تعمل بفاعليَّة من أجل صُنع المستقبل المرجو أو المأمول.

ولأنَّ الفرد مهما عظم شأنه لا يستطيع أن يشبع حاجاته المتطوِّرة والمتنوِّعة فهو في حاجة ماسّة للمشاركة مع الغير، وبخاصّة الأعمال الصّعبة التي لا تدار عجلاتها إلَّا بجهود مشتركة.

كما أنَّ المشاركة الفعَّالة تصقل العقول، وتُكسب الخبرات، وتنمّي المهارات؛ ولهذا فالكلّ في حاجة إلى المشاركة الفعَّالة؛ كونها لا تضيّع الوقت أبدًا ثم تترك أثرًا نافعًا.

ومن هنا تهتم الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة بتنميّة القدرات والمهارات للأفراد والجماعات من خلال اكتساب الخبرة من الخبير، واكتساب المهارة من الماهر.

وعليه فمشاركة الفرد الجماعة أو أفراد المجتمع بفعاليِّة:

- تنمي معارفه.

- تنمي قدراته.

. تهذّب أخلاقه.

. تصقل سلوكه.

. تكشف قدراته ومواهبه وتفتح أبوابًا لتنميتها.

. ترسّخ قيم التعاون.

. ترسّخ قيم المشاركة الفعَّالة.

. تعرِّفه على أهميَّة إدارة الزَّمن.

. تمكنه من ممارسة حقوقه بفاعليَّة.

. تمكنه من أداء واجباته بفاعليَّة.

. تمكِّنه من حمل مسؤوليَّاته بفاعليَّة.

ومع أنَّ المقصود بالزَّمن المستقبل هو ما لم يأتِ بعد فإنَّ الشّعوب والأمم الفعَّالة تعمل عليه قبل إن يأتي إليها، وفي المقابل الشُّعوب تتأخّر وتتخلّف في حالةِ ما إذا غيّبت عقولها عن التفكير والتخطيط من أجل المستقبل المنتظر نُقلة.

ولذا فلم يعد المستقبل مجرَّد وقتٍ ننتظره حتى يأتي إلينا، بل أصبح المستقبل مشروع حياة أو موت من أجل البقاء الآمن؛ فالشّعوب التي تجري في أراضيها الأنهار على الرّغم من توافر المياه في زمنها الحالي، فإنّها تبني

السُّدود؛ لتوليد الكهرباء وتحصين شعوبها بالمياه في حالة ما إذا شحّت حيويّة المياه من منابعها أو مصادرها، وكل ذلك من أجل المستقبل الآمن.

إذن فالمستقبل هو ذلك المعلوم وفقًّا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، وهو الذي من أجل بلوغه الشّعوب والأمم المتقدّمة تخطّط له وترسم السياسات، أمَّا الشّعوب والأمم المتخلّفة فتضع المستقبل في علم الغيب، مع العلم أنَّ علم المستقبل لا يكون علم غيب، بل هو الذي سيأتي في حركة متصلة مع إدارة الزّمن برهةً وساعةً ويومًا وأسبوعًا وشهرًا وعامًا ودهرًا وهكذا، فعلم المستقبل هو الذي نعلمه في دائرة الممكن؛ فنحن نعلم أنَّ غدًا الجمعة بما أنَّ اليوم هو الخميس؛ ولهذا نفكّر في يوم الجمعة ونعمل من أجله حتَّى يأتي دون أن نغفل عن السّبت وبقية الأيّام؛ فنكدّ ونجدّ من أجل أن تكون أحوالنا فيها على خير، ولأنَّنا نعلم أنَّ التّعليم يقضي على الجهل ويُحسّن أحوالنا المعيشيّة والصّحيّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والسياسيّة؛ فنبني المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي؛ ليكون النَّاس كلّ النَّاس في مستقبلٍ أفضل، ولو لم نفكّر ونعمل من أجل المستقبل فلماذا نستنشق الأكسجين؟ ولماذا نقي أبداننا من البرد القارص؟ ولماذا نصلّي ونصوم ونزكّي إن لم يكن كلّ ذلك من أجل المستقبل؟

ألا يكون لأحوال الطّقس قراءات في دائرة المستقبل المتوقّع؟ ألا تكون هناك قراءات دقيقة عن أزمنة الكسوف والخسوف وأماكنه التي يظهر فيها أكثر وضوحا؟ فهل هذا علم غيب!

بالتأكيد (لا)؛ فعلم الغيب هو الذي لا نعلمه، إنَّه بأمر الله عالم الغيب والشّهادة، أمَّا علم المستقبل فهو العلم الذي نعرفه؛ كونه يكمن فيما نعرف من أيّام وأعوام ستأتي بلا شكّ إن لم يصدر عالم الغيب أمرا، وحتَّى النّمل يدرك المستقبل، ممّا يجعله يعمل جادّا في أيّام الصّيف والخريف من أجل أن يخزّن طعاما له لتلك الأيام القارصة التي ستأتي في فصل الشتاء؛ فما بالك بالإنسان الذي يتذكّر ما مرّ به من أزمات في أعوامه المنصرمة أيٍّ كانت هذه الأزمات، سواء أكانت غذائيّة أم مائيّة أم طبيعيّة، أم صحيّة؛ فهذه معطيات تجعله يفكِّر في أعوامه الآتية في يومه هذا؛ كي لا تتكرّر معه التأزُّمات المؤلمة ثانية، ويسلم من الأضرار التي لا تكون إلّا بأسبابها؛ فيتدبَّر أمره تخطيطًا وعملًا إستراتيجيًّا به تُحدث النُّقلة من حالة كانت سائدة بالتأزُّمات إلى حالة الحلّ المخلّص من كلّ أزمة.

والمستقبل ليس ذلك الزّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلّا فيه؛ ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته، لا شكّ أنّ ما ينتظرونه سيكون متحقّقًا، ولكن بلا آمال؛ لأنّه الزّمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنتظروا الزّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجا بين أيديكم في الزّمن المنتظر (المستقبل).

والمستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الإستراتيجيات من أجل بلوغه عملا وإنتاجا ونهضة وتقدّما؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلٌ سلبيٌّ. والمستقبل غير منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاءً، وهو الذي من دونه لا يجد الأمل حلًّا.

ولأجل النّهوض ارتقاءً، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبا مرنا، وطريقة تستوعب التَّاريخ تجربةً ومنهجًا ووسيلةً.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين: (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق ما دمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارًا؛ ولهذا فلا داعي

للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خلقا وارتقاء)، ولكن هذا لا يعني: أن نظل كمن ترك له أبوه إرثا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرًا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذًا؛ فلا إمكانية لبلوغ الحلّ كمالًا؛ فتلك الجهود عبر التَّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملًا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضًا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجا وإعمارًا وبناء وبحثا علميا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الإستراتيجية التي وضعت له اللبنات الأولى؛ فالمستقبل يعدّ الأرضيَّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى

امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيِّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضًا معيّنًا يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجا وإن كان وقتيا إلّا أنّه قد يكون سببًا في حلّ كثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنَّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرًا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبليَّة المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ

التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلٍ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه أن يحقق غاية؛ وبهذا يصل التفكّر إلى ما يُمكِّن من بلوغ المأمول ونيله.

ومن ثمَّ ينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحًا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائما نحو شمولية يتّسع مداها؛ كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالف للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيا

وحاضرا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عملية؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات؛ كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه: يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلاّ أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرًا مبنيًّا على تشعبات استبطانيّة وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي

يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألَّا يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع ؛كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابيَّة المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيِّرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع؛ وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكريَّة المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء،

وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[66].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر؛ ولهذا فعلينا به تخطيطًا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا حتى وإن كان غير متوقّعٍ؛ ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بنو آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيف قد نُطلق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد؛ ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنّة.

ولذا فالقاعدة هي:

. العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

. العيش من أجل الآن.

---

[66] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

المشاركة عن حُسن تدبُّر:

يعد حُسن التدبُّر مشاركة التفاتة عقليَّة بها يتجه الإنسان لنفسه وإلى ما ينبغي الاقدام عليه وفقًا للحاجة والضّرورة، سواء أكانت الالتفاتة لصوغ خطة عمل، أم لرسم سياسات، أم لحل مشكلة وفك علل تأزُّمها.

وحُسن التدبُّر عن وعي ودراية يجنّب صاحبه الوقوع في الفخّ، ويمكِّنه من إيجاد الحلول والمعالجات، وإيجاد كيفيَّة الدّخول إلى والخروج مِن؛ فالتدبُّر يتطلَّب الاجتهاد والمثابرة وفقًا للأهداف المراد إنجازها بموضوعيَّة.

ويعد حُسن التدبُّر مشاركة اجتهاد عقلي وفكري يمكّن الإنسان من الالتفات إلى نفسه ومعرفة ما يجب أن يقوم به أو يقدم عليه في الزّمن الحاضر؛ ومن ثمَّ فالتدبُّر يتطلّب قبول الاستغراق في الحيرة وقبول تحديها تفكيرًا؛ حتى الخروج منها وعيًا ودراية، وعن بيّنة تمكِّن الإنسان من:

- الخروج من الحيرة دراية.
- معرفة الحلّ.
- تجاوز المعيقات.
- إحداث النُّقلة.
- بلوغ الغايات.
- نيل المأمولات.

والتدبُّر الحسن لا يكون إلَّا عن دراية حسنة تستوجب تحديد الأهداف ووضوحها، ورسم السّياسات والخطط والاستراتيجيَّات التي تتطلّب عُدَّةً واستعدادًا مع وافر التهيؤ والتأهُّب وفقًا للإمكانات المتاحة والممكِنة، التي تُمكِّن من العمل وبلوغ الحلّ.

ولأنَّ حُسن التدبُّر وعيًا لا يمكن أن يكون عابرًا، إذن فلا يكون إلَّا عن تمعُّن ودراية تامّة بما يجب وبما لا يجب؛ قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[67]. ومع أنَّ مفهوم التدبُّر هنا جاء بمعنى أن القرآن كلّه يُعقل ويدرك؛ كونه آيات وشواهد بيِّنة تدركها الحواس سمعًا وبصرًا ولمسًا وعقلًا وبصيرة، فإنَّ البعض تعمّد عدم التدبُّر في آياته المعجزة؛ أي: مع أنَّ آيات القرآن شواهد حقٌ فأنكرها الذين كفروا؛ قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}[68]؛ جاء في هذه الآية الكريمة مفهومًا يؤدّي إلى الاستغراب الذي لا يكون إلَّا في دائرة الممكن البشري، أمَّا بالنسبة إلى الله تعالى فلا استغراب؛ كونه يعلم الغيب والشهادة: {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[69].

أمَّا مفهوم قوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) جاء مفهومًا خاصًّا بأهل الكتاب من يهود ونصارى، كونهم يؤمنون بالله؛ ولهذا قال (لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ولمْ يقل (لِمَ تكفرون بالله)؛ لأنَّ أهل

---

[67] محمَّد 24.

[68] آل عمران 70.

[69] الجمعة 8.

الكتاب يعلمون بأنَّه لا مستحيل ولا معجز إلَّا من عند الله؛ أي مع أنَّهم يشهدون بذلك ويؤمنون بالله تعالى فإنَّهم كفروا بآيات الله التي يعلمون ويعرفون بأنَّها المعجزة للقول والفعل والعمل والقوّة وإن عظمت.

ومع أنَّهم أهل كتاب ويؤمنون بالله تعالى؛ فإنَّهم كفروا بالحق (كفروا بآيات الله)؛ ولهذا فإنَّ الله غني عن الكل، والكل في حاجة إليه، ومع ذلك فإنَّ أهل الكتاب أهل خصوص كونهم يعلموا الحقّ من عند الله: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[70]، وقال تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[71]. تشترك هاتين الآتين في المفهوم ولكل الدِّيانات الإبراهيميَّة كون أهلها يعلمون الحق المنزَّل؛ ولذا فمن ينكر الحقّ المنزَّل يعدُّ من الكافرين حتى ولو كان من أهل الديانات الإبراهيميَّة.

وعليه: ينبغي على المؤمنين أن يتدبّروا القرآن حتى يتدبّروا آياته، آية من بعد آية؛ بغاية أخذ العبر والمواعظ من المعجزات والمستحيلات التي ليس لها مفاتيح معرفيَّة إلَّا في القرآن الكريم؛ قال تعالى: {قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

[70] آل عمران 97.

[71] العنكبوت 6.

أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[72]. لقد كفر مِنْ أهل الكتاب مَن كفر؛ كونهم لم يتدبّروا القرآن آية من بعد آية، وهم كفروا لأنَّهم يعلمون الحقيقة ولكنَّهم أنكروها، أي: يعلمون أنَّ الله ليس المسيح ابن مريم؛ فهم فمع أنَّهم يؤمنون بالنبي عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام فإنَّهم لم يأخذوا بما أخبرهم به وأوصاهم وبشّرهم؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}[73].

ولأنَّ الخطاب موجّهٌ من النبي عيسى إلى بني إسرائيل؛ فبنوا إسرائيل هم الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم؛ وذلك بغاية الانحراف بالمسيحيّة عن صوابها المنزَّل. أي: لأنَّ المسيحيَّة جاءت منزَّلة وناسخة للديانة اليهوديَّة؛ فإنَّ الذين لم يؤمن من بني إسرائيل بالديانة المسيحيّة هم الذين قالوا: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

ومع أنَّ آيات القرآن شواهد تلفت العقل وتثيره، وتستفزّه فكرًا وعلمًا وبحثًا، فإنَّ بعض العقول عمدت أنْ لا تتدبّره؛ ومن هنا فالذين تدبّروه

---

[72] المائدة 72 – 75.

[73] الصّف 6.

التفتوا إلى أنفسهم اعترافًا بالحقِّ؛ وذلك بالتفاتهم إلى آيات الخالق العظيمة التي جعلتهم على الايمان وهم في أحسن تقويم.

وعليه فإنَّ التدبُّر وعيًا يؤدّي إلى:

. إنجاز الأهداف.

. رسم السياسات.

. رسم الخطط والاستراتيجيَّات.

. معرفة الحلّ.

. تحقيق الأغراض.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

. تعظيم القيم الخيّرة.

. المزيد من الدّراية والمعرفة.

. المزيد من الخبرة والتجربة.

والتدبُّر مع أنَّه قيمة فإنَّه لا يكون إلَّا عن حيويَّة تدير الأمر الذي يستوجب حُسن التدبُّر، ومع أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا في ساعته، فإنَّه لا يكون إلَّا من أجل المستقبل قريبًا كان أم بعيدًا؛ ولهذا فالحاضر تدبّرًا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطًا وعملًا حتى يعيشه وجودًا، وكما يأمله في

دائرة الممكن، ومن هنا فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ، فالتدبّر دراية عقليَّة يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادًا وعلمًا ومعرفةً، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقًا للفرضيَّات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرًا سلبيًّا.

ويتّسع التدبّر ارتقاءً ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيًّا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائمةً، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيًّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلًا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيًّا، بل وقتيًّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالًا حاصلًا بالكيفيَّة الآنيَّة ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظُّلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرًا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليَّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليَّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليَّات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرًا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرًا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثَّانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطةً وحذرًا لم تكن واحدة، بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ

سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرًا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

وكذلك ما حدث مع الطّفل المغربي ريَّان ذو السنوات الخمس، الذي مأساته شدّة انتباه العالم وأنظاره يوم 1-2-2022م بمنطقة (باب برد) بالقرب من مدينة شفشاون، ريَّان الذي سقط في البئر وارتكن فيه ضيقًا على عمق 32 مترًا (منتصف عمق البئر تقريبًا)، ولقد بقي في البئر محصورًا في ضيقه حوالي 90 ساعة، وهو يعاني من شدّة الألم والبرد والجوع والخوف والرّعب من شدّة الظلمة؛ ولذلك يعد هذه الزَّمن طويلًا جدًّا على حياة الطفل وبخاصّة إنَّه لم يتمكَّن من الاكل ولا من الشُّرب، ولا من التدفئة، ومع أنَّه الوقت الطويل، فإنَّه بأسباب الحيطة والحذر تدبُّرًا كان ضروريًّا وفقًا لبساطة الآلات المستخدمة إذا ما قورنت بغيرها من الآليَّات المتطوّرة تقنيةً، ويا ليت المتدبّرين أحسنوا تدبيرهم واستخدموا غيرها من الآليَّات الأكثر تطوّرًا وتقدّمًا.

إنَّه البئرٌ ضيّق القطر (لا يزيد قطره عن 35سم) مما جعل النزول إليه متعذرًا، ومع ذلك كان التدبّر يلاحقه حفرًا بغاية إخراجه حيًّا قدر الإمكان؛ فكانت الاستشارات بين الخبراء والدّول مع المملكة المغربيَّة بغاية إنقاذه؛ وذلك لتفادي تلك الانهيارات التي قد تحدث بأي علّة من العلل وتكون خطرًا على حياته وعلى حياة المنقذين حفرًا، ومع ذلك ثم الوصول

إليه حفرًا موازيًا بسلام؛ حيث لا انهيارات حدثت، غير أنَّ الاعمار بيد الله فلم يكن الوصول إليه في الزَّمن المنقذ للحياة؛ فمات ريَّان، ولكن بحسن التدبّر لم يقبر في البئر، بل قبر دفينًا كغيره من الأموات.

ولهذا يتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلًّا نهائيًّا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه؛ ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائميَّة، لكنّها في وقتها قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلًا ومنتميًا لهذه الافتراضات.

ومن هنا فإنَّ الشّخصيَّة المتدبِّرة تعتبر الحلّ الآني تدبّرًا يسهم في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلّ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلّ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرُّؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيَّات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمراريّة حقيقية تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عمليَّة نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلًا ومؤثّرًا.

وعليه: تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيَّات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها؛ كي تشغل حيزًا واضحًا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة؛ كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرًا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب، وعليه:

- حُسن التدبّر من الحكمة.
- حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.
- حُسن التدبّر يجوّد المنتج.
- حُسن التدبُّر مشاركة وفاعليَّة.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. حُسن التدبّر يمكّن من صناعة المستقبل.

. حُسن التدبُّر حيويّة عقليَّة وفكريَّة.

. حُسن التدبُّر يدير العقول.

. حُسن التدبُّر يمكِّن من النهوض.

. حُسن التدبّر يمكّن من إحداث النُّقلة.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. حُسن التدبّر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. حُسن التدبّر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. حُسن التدبّر يمكّن من إيجاد الحلول.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. حُسن التدبّر يمكّن من بلوغ الغايات.

. حُسن التدبّر يحفّز على نيل المأمول.

. حُسن التدبُّر يمكّن من كسر القيد.

. حُسن التدبُّر يمكّن من معرفة غير المتوقّع.

. حُسن التدبُّر يمكّن من طي صفحات الوهم.

. حُسن التدبُّر يمكّن من بلوغ الخوارق.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرًا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنيَّة التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية؛ وذلك لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه؛ كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقًا لما هو ممكن سواء أكان الممكن متوقعًا أم أنَّه على غير متوقّع.

وهنا تباشر الشّخصيَّة المتدبِّرة وجودها من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلًا بكيفيَّة متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرًا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيًا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحًا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملًا.

والشّخصيَّة المتدبِّرة في حاضرها تبحث عن سُبل كثيرة تريد من خلالها الوصول إلى مبتغاها تدبّرًا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلًا وحدوده يمكن

تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرًا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلًا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيًا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب؛ ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو[74].

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقًا؛ ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة الأخلاقيَّة ترى ضرورة:

- التواصل مع التَّاريخ.
- تقبُّل الآخرين.
- التواصل مع الآخر.
- التواصل مع القدوة.

[74] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. التطلّع للمستقبل.

. العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التّاريخ.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة المتعلمين.

. بيّن لهم نقاط الضّعف التي تشوّه الذاكرة وتطمسها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذَّاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصيَّة قويّة متدبِّرة متحدِّية للصّعاب؛ فالشّخصيَّة القويَّة المتدبِّرة هي التي لا تغفل عن معطيات الزّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي؛ كي تصنع مستقبلًا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة؛ كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية وعلم النَّفس والخدمة الاجتماعيَّة على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذّاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

. التواصل مع الفضائل الخيّرة.

. التواصل مع القيم الحميدة.

. التواصل مع المعلومة المستفزّة.

. التواصل مع المختلف.

. الالتفات إلى التَّاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

. التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

. قبول التحدّي.

ومن هنا فإنَّ مفهوم التدبُّر يرمي إلى الحكمة التي يصوغها العقل البشري بغاية الاقدام الآمن، أو الانسحاب الآمن، أو بغاية التحايل والالتفاف والمناورة.

ولذا فالعلاقة قويَّة بين إيجاد الحكمة وحسن التدبُّر؛ كون كلًّا منهما مولود حسن التفكير الموضوعي؛ حيث لا مجال للعاطفة على حساب تقرير المصير أو إحداث النُّقلة وبلوغ الغايات ونيل المأمولات.

وقد جاء مفهوم التدبُّر من أصل الكلمة وتصريفاتها اللغوية (دبَّر – يدبّر – تدبيرًا)، وهي بهذا المفهوم كمن يقول: (فكَّر – يفكّر – تفكيرًا)؛ ومن هنا ارتبط حُسن مفهوم الحكمة بحسن مفهوم التدبُّر دلالة ومعنى؛ ولذا فكما تخرج الحكمة أصحابها من التأزُّمات يخرج التدبُّر أصحابه من التأزُّمات أيضًا.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التَّاريخ ويصنع الذّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن ثمَّ يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّنٌ من إحداث النُّقلة، ومحقّقٌ للرفعة المأمولة؛ ولذلك يجب على الحكماء وإخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة والرّعاية النَّفسيَّة إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنيَّة التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم.

. البدء معهم من حيث هم.

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

. التأكيد على أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام المتحدين لها.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا وثقافيًّا وحضاريًّا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزّمن اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيًّا وإنسانيًّا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرًا. إذن على العلماء والحكماء والأخصائيين الاجتماعيين والنَّفسيين وإخصائي التنمية البشرية الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقًا لأولوياتها وأهميتها بالنّسبة لكلٍّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيُّون أنّها تتعارض في البدائل القيميَّة المقدّرة اجتماعيًّا أو إنسانيًّا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

وبناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنيَّة للتنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيَّات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيًّا ومعرفيًّا مع الأفراد والجماعات؛ لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

. العمل على تمكين الأفراد أو العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيَّة، دون أن يغضّوا النَّظر عن أهميَّة قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء خيالًا، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

وعليه: ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النُّقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكّن من معرفة الأسباب.

وبما أنَّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوَّة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النُّقلة).

إذن: القوّة المجمّعة في الزّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي؛ ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطًا بين متوقّع وغير متوقّع[75].

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذّاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

. اتصل وتواصل وثق أنَّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنَّافع، حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرُّموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك، حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

---

[75] عقيل حسين عقيل، الشّخصيَّة المتهيأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 94 – 108.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر؛ لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقلة بعد حُسن تدبّر[76].

المشاركة عن تدبُّر حُسن دراية:

المشاركة في الرّأي يجعله أكثر صوابًا، والمشاركة في بذل الجهد تجعل الجهد المبذول أكثر أثرًا، والمشاركة في حمل المسؤوليَّات يجعل حمل المسؤوليَّة ليس بالثقيل، ومع ذلك لا ينبغي أن تكون المشاركة إلَّا عن وعيٍ ودرايةٍ.

والدِّراية العقليَّة دراية واعية، والتدبُّر عقلًا ومعرفة ومفهومًا لا يكون على كفّة التوازن اعتدالًا حسنًا إلَّا بكفّة الحكمة المنقذة من الغفلة والتيهان؛ ولذا يعدّ التدبُّر دراية عقليَّة حسنة من حسنات حُسن التفكير.

ومن هنا فالتدبُّر الحسن ليس مجرّد تفكير نظري، بل لا يكون إلَّا عن مقدرة والمام بما يجب تجاه الأهداف والسِّياسات المرسومة والخطط، ولهذا فالتدبّر يربط بين حُسن التفكير وجودة العمل؛ ذلك أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا وكل شيء محسوب حسابًا دقيقًا، ووفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ولهذا فالعقل دراية مقدرة واسعة تكشف العلاقة بين السّماوات والأرض من خلال استيعاب المعجز، ومعرفة المستحيل، والبحث الممكِّن من اكتشاف المتوقّع وغير المتوقّع، فالعقل دراية وارتقاء قيمة تفضيليَّة خصّ

[76] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 213 – 227.

الله بها الإنسان خَلقًا وخُلقًا فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه فينبغي أن يكون على الفضائل الحميدة التي فضّلها الله، وعلى القيم الخيّرة التي ارتضاها النَّاس: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[77].

نعم. إنَّه التفضيل للإنسان الذي يمشي سويًّا على صراطٍ مستقيم، والذي شاء الله أن يكون خليفته في الأرض؛ ولذا فالفرق كبير بين من يمشي مكبًّا على الأوجه ومن يمشي سويًّا (مقوّمًا)؛ ذلك هو أمر الخالق ومشيئته التي شاءت التفضيل لمن يمشي سويًّا على غيره من المكِبّين؛ إنَّها الفضيلة الباقية التي لا تتبدّل؛ كونها صُنع الخالق، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي لا تكون إلَّا بيد المخلوق.

ولذا فلا إمكانيَّة لتلك المخلوقات المكِبّة والزَّاحفة أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ بعض البحَّاث لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه، وفي المقابل

يمكن للإنسان الذي يمشي سويًّا أن ينحدر خُلقًا فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقًا، أي: يُمكن أن تصبح أخلاق الإنسان سُفليَّة ودونيَّة، أمَّا خَلقه فسيظل في أحسن تقويم، ولن يتبدّل.

---

[77] الملك، 22.

وهذا ما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) عليه السَّلام الذي خُلق في أحسن تقويم ولم يُخلق على الكمال، إنَّه الإنسان الذي خُلق مسيّرًا ومخيّرًا (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر فيُتاب عليه.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن رُقيًّا فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألَّا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم، وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[78]؛ ذلك لأنَّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة دراية تامَّة وكاملة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق ولا تتعلّق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

ومن ثمّ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمَّا الاستثناء في دائرة الممكن ألَّا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة، وهي: متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة دراية.

وعليه:

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[79]؛ ولأنَّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في

[78] البقرة، 37.

[79] الأنبياء، 30.

السّماء جنّة، كان خَلقهُ في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[80].

ولذا فأساس خَلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمَّا الاستثناء ألَّا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خَلقًا، وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألَّا يأكُلّ من تلك الشّجرة: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[81].

ومن هنا جاء انحدار أبينا آدم عوضًا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خَلقًا: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[82]؛ حيث الهبوط على الأرض التي فُتقت من السّماوات فأصبحت أرضًا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍّ (في السّماء)، ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم فبعد الدّراية تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ

---

[80] التين، 4.

[81] البقرة، 35، 36.

[82] التين، 5.

عَلَيْهِ}[83]، ولهذا فقد استثني آدم من الوجود السُّفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}[84].

وعليه:

فالإنسان الأوَّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاءً؛ وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو المنهي عنه: (ألَّا يأكل من تلك الشّجرة)، فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرًا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرًا؛ إذ لا إمكانيَّة له في ذلك (إنَّه صُنع الله).

ولذا فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا كيفًا؛ كونه يتعلّق بالدّراية لا بالماديَّات، وهكذا حال النُّقلة التي لا تكون عقلًا إلَّا عن معرفةٍ وعلمٍ، وهي تختلف عن النَّقلة التي لا تكون إلَّا مادَّة.

إذن: فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا وعيًا، وبه يتم التمييز بين ما يجب وما لا يجب، وبه دراية يتم الاقدام على ما ينبغي، والانتهاء عمَّا لا ينبغي، ومن هنا تتحقق الرّفعة بكل ما يؤدّي إلى النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، أي: إنَّها تتحقّق بالتخلّي عن كل ما يؤدّي إلى السُّفليَّة والدّونيَّة.

---

[83] البقرة، 37.

[84] التين، 6.

ومع أنَّ خَلق الإنسان جاء على الرّفعة خَلقًا، فإنَّه أخلاقًا يقع فيما يؤدّي به إلى الدُّونيّة والسُّفليَّة؛ ولذا فلا ارتقاء إلَّا بفضيلة حميدة أو قيمة خيِّرة، ولا دونيّة إلَّا بالتخلّي عن الفضائل والقيم.

ومع أنَّ أمر الارتقاء الآدمي جاء خَلقًا مميّزًا عن غيره من المخلوقات وبقي متميّزًا وسيظل، فإنَّه أخلاقًا انحدر سُفليَّة؛ ذلك لأنَّ أمر الخَلق بيد الخَالق جلَّ جلاله، أمَّا أمر الأخلاق فبيد المخلوق الذي خُلق على التسيير خلقًا، وتُرك له التخيير فيما يشاء إرادة سواء أكان ما يشاءه دراية عن فضيلة وقيمة، أم ما يشاءه بلا فضيلة ولا قيمة.

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق فلا تخيير، ولأنَّه لا تخيير فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبًّا، وسيظل الزّاحف زاحفًا، وسيظل من يمشي سويًّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ فسيظل القرد قردًا، والإنسان إنسانًا، والسّمك سمكًا.

ونظرًا لأهميَّة الإنسان في الوجود الخَلقي جاء خَلقه من عجلٍ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[85] والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئًا، فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عجلٍ) أي: لم يقل (على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنَّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ

[85] الأنبياء، 37.

تَقْوِيمٍ}[86]. مع العلم أنَّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين، وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}[87]، والسّلالة هي: النّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها؛ وذلك لأنَّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق عن السماوات، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا فالسّلالة تدلّ على أصل الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات؛ حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنسًا ونوعًا)؛ ولذا فلا عجل، ولا عبثيَّة في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته تصلصل ارتقاء: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[88].

ولأنَّ الإنسان الأوَّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم فهو من حمإ مسنون (من مادّة ذات جودة عالية)؛ إذ لا شائبة، ومن ثمّ فلا طين يماثلها، فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

ومن هنا خُلق الإنسان مُفضّلًا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ

---

[86] التين، 4.

[87] المؤمنون، 12.

[88] الحجر، 26.

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[89].

ولأنَّ الإنسان هو المفضّل خَلقًا، وله ملكات العقل الدَّارية، فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[90].

ولأنَّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}[91]، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء وكذلك النّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاءً، كان آدم نبيًّا للملائكة والجنّ والإنس جميعًا: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) فلمّا أنبائهم سجد الملائكة إِلَّا إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ في أنَّ الذي سجد الملائكة له لم يكن على الارتقاء مفضَّلًا؟

---

[89] البقرة، 30.

[90] البقرة، 31 . 33.

[91] البقرة، 34.

أمَّا الخَلق الثَّاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق): {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[92]، وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثَّانية تختلف عن السّلالة الأولى، فالسّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسّلالة الثَّانية: من ماءٍ دافق مَهين: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَّهِينٍ}[93].

ولأنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[94]، أي: خُلق الإنسان على المحبّة تميُّزًا فينبغي أن يكون عليها كبدًا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى خيرًا استقامةً واعتدالًا ولا مظالم، فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدّي به إلى الرّفعة والارتقاء دراية.

وعليه: تعدّ الأخلاق نتاج الفضائل الحميدة، والقيم الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، فبها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً وسلوكًا؛ من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

---

[92] النحل، 4.

[93] السجدة، 8.

[94] البلد، 4.

وبما أنَّ الإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) فإنَّ غايته الارتقاء خُلُقًا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم يخسرها بلا ثمن؛ ولذلك فالإنسان الأوّل قد خُلق من تراب الجنّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده، فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقَّع وغير متوقَّع، فآدم وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن القيم؛ حيث عدم التزامهما بالأمر النَّاهي عن الأكل من تلك الشَّجرة المنهي عنها: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[95].

ولذا فإنَّ البقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة وقيم حميدة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقًا أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة فبعد أن تَلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه درايةً: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[96]، ومع ذلك صدر الحكم

[95] البقرة، 36.

[96] البقرة، 37.

عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونيَّة: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}[97].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم فهو خروج من الجنّة؛ حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علو الجنّة ارتقاءً، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلًا؛ لأداء مهمّة تربط أمرًا بين السّماء والأرض، ونحن نجهله فلا ندريه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[98].

ولأنَّها الأرض الدّنيا وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء، إذن: فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة، والنّاهية، والآمرة، والمحذّرة، والمنذرة، والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاءً، وتُلفت المختلفين إلى ما يؤدّي بهم إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة دراية.

---

[97] البقرة، 38.

[98] القدر، 3 . 5.

فَأُنزلت الرّسالات درايةً تأمر وتنهى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[99]، بمعني: يجب أن يكون الإنسان على الأخلاق الكريمة أينما كان، سواء أكان آدم وزوجه في الجنَّة ارتقاء، أم أصبحا وبنوهم على الأرض انحدارًا، غير أنَّ الحياة العليا بعد تلك الإغواءات قد جُرّدت من النقائص والحاجات التي أثّرت انحدارًا على الإنسان الأوّل (آدم) ومَن شاركه في المعصية أو حرّضه عليها، وأصبحت الحياة هناك ارتقاءً كاملًا.

أمَّا بعد الهبوط فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ، وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببًا في هبوط المخالفين من الحياة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه: (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنّة) فظلّ هذا الدّرس شاهدًا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنّة، أي: بما أنَّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنّة، إذن: فكيف لبني آدم من دخولها؟

أقول:

[99] البقرة، 190.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[100].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرًا حاسمًا لمخالفة جرت في الجنّة إذن: ألا يعدّ أمر الهابطين أمرًا حاسمًا في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مُخرجٍ من هذه الأزمة وأنَّ معظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدونيَّة؟

أقول:

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[101].

من هنا وجب إعمال العقل دراية حتى التبيّن وعيًا دون إكراه، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ وترك النَّاس أحرارًا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم: (جهلًا أو تعلّمًا)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء وعن دراية.

ولأنَّ الأخلاق ارتقاءً هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها عقلًا ودراية لا شكّ أنَّه يجعل الإنسان على المحبَّة، بدلًا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا

---

[100] الأنعام، 160.

[101] الزمر، 53.

مُؤْمِنِينَ}[102]، أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنَّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[103]؛ لذلك كان محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام داع إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق درايةً وارتقاءً، فالأخلاق تعد قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السّلوك يصبح سلوكها قمّة، ومن هنا فمن أراد أن يكون قمّة فعليه بعقله دراية.

ولأنَّ الارتقاء خَلقًا لا يكون إلَّا بيد الخالق فقد خَلق الخَالق آدم في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنَّة الصلصال)؛ إذ لا إنس من قبله، ولأنَّه كذلك جعله الله على الارتقاء نبيًّا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، فإنَّه بمخالفة أمر الخالق أُهبط به والأرض، وكذلك معه من كان سببًا في إغوائه ومعصيته، وأيضًا من قَبِلَ الإغواء معه معصية (زوجه)، وهنا تكمن العلّة التي دعت آدم ندمًا واستغفارًا وتوبةً، ولكنَّ قرار الهبوط نافذ: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[104].

ومع أنَّ آدم تاب لربّه دراية، فإنَّ توبته لم تَحُلْ بينه والهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء، فآدم

---

[102] يونس، 99.

[103] يونس، 99.

[104] الأعراف، 24.

عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيًّا؛ لِيُنبئ من بُعث إليهم نبيًّا: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[105]، وهنا يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنَّة ارتقاءً تلك الجنَّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيمًا على الأرض المغبرّة التي أُهبط بها أرضًا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له عقلًا ودراية إلَّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيًّا، وعلّمه ما لم يكن يعلم، ومن ثمَّ أدرك آدم دراية أنَّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عقلًا ودراية.

ولذلك فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكِّن من إحداث النُّقلة وتحقيق الارتقاء دراية ورفعة، فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه، فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفليَّة)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجَّة وموعظة وعبرة، فبدأ العمل دراية وارتقاءً من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبيه الذي شهد ذلك النّعيم فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشّهوة انحدارًا وسُفليَّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبّة: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي

[105] طه، 122.

أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[106].

وعليه:

فالارتقاء عقلًا ودرايةً مؤسّس على الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة؛ وذلك ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة، حتى بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة الممكِّنة من بلوغ الجنَّة عيشًا رغدًا، ومن هنا وجب عمل العقل عن دراية بالعمل المحقّق للعيش النّعيم، الذي فيه الوفرة:

. تغذي الرّوح نشوة.

. تطمئن النَّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينًا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا دراية عقليَّة إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما

[106] المائدة، 28 . 30.

بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارًا من بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيًّا ينبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه، ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود، من أجل العيش الرّغد؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم، ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

ومن هنا وجب العمل المكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

وعليه: فبنو آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية عقليَّة واعية.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار عِلَّة.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردًا بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة،

فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[107]، ولهذا فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل ساريًا صراعًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

وعليه: فمن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف دراية وارتقاءً، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالنّدم دراية يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة

[107] هود، 118، 119.

بمواقف صائبة، أي: متى ما غلبت الشهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدَّولة، فرجالات الدَّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدَّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون، فرجالات الدَّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا

المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدَّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ، ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة ومهنيَّة، ومع ذلك ينبغي أن يتم اخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وفضائلًا؛ وذلك أوَّلًا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، وثانيًا: محاسبة من أنحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن

سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب دراية ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

وعليه: فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون

بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن منهم وعيًا ودراية يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم عقلًا ودرايةً من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم قد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي عقلًا ودرايةً، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)، ومن هنا فإن كنتم أهل موضوعيَّة فلا يليق أن تتجاهلوا كتابًا يملأه العلم والبيّنة والدراية؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية ومن بعدها آيات.

وعليه: فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)،

فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

إذن: فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزَّائلة (الحياة المنقوصة)؛ حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعةً وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب العمل عقلًا ودراية بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية)، ثمَّ نيل المأمول جنّة؛ ولهذا فلا ينبغي أن يرضى بنو آدم بالفقر، فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ ولذا فلو عمل بنو آدم جميعهم لما وجد الفقر مكانًا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعًا فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (193) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 ـ وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 ـ ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 ـ العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 ـ السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 ـ نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 ـ

90 ـ هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 ـ صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 ـ لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 ـ المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 ـ تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 ـ مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 ـ الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 – مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 – موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

193 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى تفعيل المشاركة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (193) مؤلّفًا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/